
التوحيد
مجلة إسلامية ثقافية شهرية
تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية
العدد ٤٦٣ - السنة التاسعة والثلاثون - رجب ١٤٣١ هـ - الثمن ١٥٠ قرشا
نتيجة
مسابقة القرآن الكريم
الإجازة الصيفية ومشكلات الشباب
المرأة بين تكريم الإسلام وإساءة الإعلام
ودائعُ البنوك عَقْدُ قَرْضٍ شرعًا وقانونًا
قرصنة إسرائيل بين الوهن العربي
والتخاذل العالمي !!

"السلام عليكم"

إلى مدمني السرقات

إن الله تعالى حرم على المسلمين أموال بعضهم أن يأخذوها بغير حقها، فكل المسلم على المسلم حرام؛ دمه، وماله، وعرضه. بل ذكرت الروايات نماذج مما سيلاقيه أهل السرقات من الفضائح ذوات الجلاجل.

فالرجل يسرق الآن متواريًا في بذلته، مستورًا في وظيفته، محميًا بسلطته، متسلحًا ببعض دهائه وحيلته، لكنه لن تنفعه الحيلة يوم الأحمال الثقيلة، فسارق الجمل يأتي يوم القيامة يحمله على رقبته، وللجمل رغاء وصوت يفضح به السارق وكأنه يقول: السارق ها هو ؟ فيعرف السارق رسوله الذي كان يتجاهل سنته في الدنيا. فيقول: يا رسول الله، أغثني، فيقول له الرسول ﷺ: «لا أملك لك شيئًا، قد أنذرتك».

وهذا النموذج يتكرر مع سارق الخيل والغنم وسارق الصامت (أموال – أو أطعمة – أو مواد بناء – أو أراضٍ خاصة أو عامة)، لا يجد السارق يومها إلا: يا رسول الله أغثني، فيقول: «لا أملك لك شيئًا، قد أنذرتك». ولو قطعت يد سارق واحد لنجا هؤلاء جميعًا، ونجت الأموال لأصحابها، لكن أحد الجهلاء المتعالمين يفتي بأنه لو أخذنا بقطع يد السارق لقطعنا أيدي الناس كلهم، صدق القائل: خذوا الحكمة من أفواه....!!

التحـــرير





مجلة التوحيد لا يستغني عنها مسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

فاعلم أنه لا إله إلا الله

صاحبة الامتياز

جماعة أنصار السنة المحمدية

السنة التاسعة والثلاثون

العدد ٤٦٣ رجـــب ١٤٣١ هـ

رئيس مجلس الإدارة

د. عبدالله شاكـر

المشـــرف العـــام

د. عبدالعظيم بدوي

اللجـنـة العلميـة

زكريا حسيني محمد

جمال عبدالرحمن

معاوية محمد هيكل

المركز العام

هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦ - ٢٣٩١٥٤٥٦

موقع المركز العام:

WWW.ELSONNA.COM

ثمــن النســخة

مصر ١٥٠ قرشاً، السعودية ٦ ريالات، الإمارات ٦ دراهم، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات، عمان نصف ريال عماني، أمريكا ٢ دولار، أوروبا ٢ يورو

الاشتــراك السنـوي

١. في الداخل ٢٥ جنيهاً (بحوالة بريدية داخلية باسم مجلة التوحيد - على مكتب بريد عابدين).

٢. في الخارج ٢٠ دولاراً أو ٧٥ ريالاً سعودياً أو ما يعادلهما.

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الإسلامي - فرع القاهرة - باسم مجلة التوحيد - أنصار السنة (حساب رقم / ١٩١٥٩٠).

م. دار الجمهورية للصحافة

"في هذا العدد"





لا تخلو منها مكتبة ويحتاج إليها كل بيت

رئيس التحرير

جمال سعد حاتم

مدير التحرير الفني

حسين عطا القراط

سكرتير التحرير

مصطفى خليل أبو المعاطي

التنفيذ الفني

أحمد إبراهيم صوابي



البريد الإلكتروني

MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

رئيس التحرير:

GSHATEM@HOTMAIL.COM

GSHATEM@YAHOO.COM

التوزيع والاشتراكات:

SEE2070@HOTMAIL.COM

موقع المجلة على الإنترنت:

WWW.ALTAWHED.COM

التحرير

٨ شارع قولة - عابدين - القاهرة

ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

قسم التوزيع والاشتراكات

ت: ٢٣٩١٥٤٥٦

التوزيع الداخلي:

مؤسسة الأهرام

وفروع أنصار السنة المحمدية



الحمد لله الذي أحاط بكل شيء علمًا، وجعل لكل شيء قدرًا، والصلاة والسلام على نبينا محمد المبعوث بالهدى والرحمة، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن المرأة الصالحة واحدة من الأسباب الأربعة للسعادة، تلك الأسباب التي ذكرها النبي ﷺ؛ فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أربع من السعادة: المرأة الصالحة، والمسكن الواسع، والجار الصالح، والمركب الهنيء». [ابن حبان في صحيحه (٤٠٣٢)، وصححه الألباني].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «الدنيا متاع، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة». [مسلم ١٤٦٧].

كما جعلها الله تبارك وتعالى سكنًا للرجل، فقال عز وجل: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١]، ولما كانت المرأة سكنًا للرجل ولباسًا له، وخير متاع؛ أنصفها الإسلام، ورفع قدرها ومكانتها، قال النبي ﷺ كما في حديث عائشة رضي الله عنها: «إنما النساء شقائق الرجال». [أبو داود ٢٣٦ وصححه الألباني].

ولقد نالت المرأة في الإسلام حظًا كبيرًا لم تنله في أي مجتمع آخر، وأعطاها حقوقها كاملة، ورفع عنها كل إهانة لحقت بها عبر التاريخ، ولا يُستغرب ذلك؛ لأنه تشريع رب العالمين.

قال الشيخ سيد سابق - رحمه الله -: «كانت المرأة قبل الإسلام شبه رقيقة، إن لم تكن رقيقة بالفعل، لم يكن لها حق يُعترف به، لا حق الملك، ولا حق مزاولة أي عمل باسمها، ولا حق اختيار زوجها، بل كانت تُملك ولا تَملك، تُورث ولا تَرث، وتُكره على الزواج بمن تَكرَه». [اهـ. من كتاب إسلامنا، ص٢٠٩].

ولبيان هذه الحقيقة سأذكر بعض ألوان تكريم الإسلام للمرأة، والحقوق المشتركة العامة التي ساوت فيها الرجل، ومنها:

أ- المساواة الكاملة في الإنسانية: فكلاهما من جنس واحد في التناسل البشري، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، ومن هنا فإن دماء الجنسين تتكافأ، قال الله تعالى:

﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ [المائدة: ٤٥]، قال ابن كثير في شرحه للآية: «وقد احتج الأئمة كلهم على أن الرجل يُقتل بالمرأة بعموم هذه الآية، وكذا ورد في الحديث: «المسلمون تتكافأ دماؤهم»، وهذا قول جمهور العلماء». [تفسير ابن كثير ج٢ / ٨٩].

ب- المساواة في أغلب التكاليف والأحكام الشرعية: فالمرأة عمومًا مخاطَبة في الجملة بما خُوطب به الرجل، والفروق بينهما يسيرة اقتضتها خصائص التكوين الجسدي والنفسي للمرأة؛ لأنها يعتريها فترات ضعف أثناء الحيض والنفاس، فخفَّف عنها الشارع بعض الأحكام؛ مراعاةً لفطرتها وأنوثتها، وذلك كعدم وجوب حضور صلاة الجماعة، وغير ذلك مما هو مقرر في كُتب الفقه.

جـ- المساواة في الإجارة والذمة: وهذا واضح غاية الوضوح من حديث أم هانئ بنت أبي طالب - رضي الله عنها -، وفيه أنها قالت: يا رسول الله، زعم ابن أبي أنه قاتل رجلاً قد أجرتُه فلان بن هُبيرة. فقال رسول الله ﷺ: «قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ». قالت أم هانئ: وذاك ضحى. [البخاري ٦١٥٨].

د- المساواة في أعمال الخير والجزاء في الآخرة: ويظهر هذا في كثير من آيات القرآن الكريم، مثل قوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ١٩٥]، وكقوله جل وعلا: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

ومن الخير الذي ساوت المرأة فيه الرجل: تعلُّم العلم وتحمُّله وأداؤه. قالت عائشة رضي الله عنها: «نِعْم النساء نساء الأنصار ! لم يكن يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين». [مسلم ٣٣٢].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قالت النساء للنبي ﷺ: غلبنا عليك الرجال، فاجعل لنا يومًا من نفسك، فوعدهن يومًا لقيهن فيه فوعظهن وأمرهن. [البخاري: ١٠١].

وقد عُدَّت عائشة رضي الله عنها من المكثرين من رواية الحديث، وكان مشيخة أصحاب النبي ﷺ يأتون إليها، ويسألونها في بعض المسائل، وقد ذكر الذهبي قولاً يُعد مفخرةً لكل امرأة روت شيئًا من حديث رسول الله ﷺ، قال: «وما علمت في النساء مَن اتُّهِمت، ولا مَن تركوها».

هـ- رفع الإسلام عنها اللعنة التي ألصقتها بها بعض الديانات السابقة؛ وذلك لما اتهموها بأنها سبب تعاسة البشرية، لأنها أغوت آدم فأكل من الشجرة فأُخرج من الجنة، ولكن القرآن نسب الذنب إليهما معًا، كما قال تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ [البقرة: ٣٦].

و- رفع عنها الظلم الذي وقع عليها في الجاهلية، وذلك مثل وأد البنات، وتعدّد الزوجات بلا حساب، وجعله محصورًا في أربع، وفرض لها نصيبًا من الميراث، وجعل لها حق التملك والتصرف في مالها، وأمر الرجل أن يعاشرها بالمعروف، وأن يتولى شئونها والإنفاق عليها وعلى ولدها.

ومن تكريم الإسلام للمرأة أنه أمرها بالحشمة والوقار، والترفع عن كل ما يشين عفتها وكرامتها، ومن ذلك عدم الخروج إلا لحاجة وعدم التبرج، قال الله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلاَةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

قال ابن كثير في تفسيره للآية: «وقوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ أي: الْزَمْن بيوتكن فلا تخرجن لغير حاجة، ومن الحوائج الشرعية: الصلاة في المسجد بشرطه.. وقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى﴾. قال مجاهد: كانت المرأة تخرج تمشي بين يدي الرجال، فذلك تبرّج الجاهلية». [تفسير ابن كثير ج٣ / ٦٥٢].

وإذا خرجت المرأة من بيتها لزمها الحجاب وستر جميع بدنها؛ صيانةً لها من أذى الفاسقين، وطهارةً للقلوب، وهو علامة شرعية على الحرائر العفيفات، قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ﴾ [الأحزاب: ٥٩]، ولما أنشد النميري عند الحجاج قوله:

يُخمرن أطرافَ البنان من التقى ... ويخرجن جنح الليل معتجرات

قال الحجاج: «وهكذا المرأة الحرة المسلمة». [حراسة الفضيلة: ٧١].

كما نهى الإسلام المرأة إذا خرجت من بيتها عن وضع الطيب، حتى لا يشم طيبها الرجال الأجانب، وفي الحديث عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا من ريحها فهي زانية». [النسائي ٥١٢٦ وحسنه الألباني].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أيما امرأة أصابت بخورًا، فلا تشهد معنا العشاء الآخرة» [مسلم ٤٤٤]، أي: لا تحضر صلاتها مع الرجال.

وإذا كان هذا النهي عند خروجها للصلاة في المسجد، فكيف بخروجها - وهي متطيبة - لأمر آخر؟

الشرع حفظ للمرأة كرامتها

والأمور التي جاء بها الشرع لحفظ المرأة وصيانتها وكرامتها كثيرة، بل إن الإسلام هو الذي حرر

المرأة من إهانات وضلالات الجاهليات القديمة والحديثة، واحترم أنوثتها احترامًا ليس له نظير في التاريخ كله، وأعداء الإسلام يحاولون منذ فترة طويلة إفساد المرأة المسلمة بعد أن استطاعوا إفسادها في الغرب والشرق؛ حيث خرجت المرأة هناك على كل خلق فاضل سليم، وتمردت على فطرتها وأنوثتها، وانطلقت إلى الميادين العامة والخاصة مزاحمة للرجال دون خجل أو حياء، وفي حالة من التفسخ والعري القبيح، ويريدون أن تكون المرأة المسلمة كالمرأة عندهم.

دعوات مسمومة تدعو إلى الاختلاط

وواجب المسلمين اليوم الحفاظ على هويتهم الإسلامية، والتمسك بشرع ربهم، والحذر غاية الحذر من متابعة الشيطان والهوى.

وأقول هذا لما نشاهده في بلاد المسلمين اليوم من دعوات مسمومة تدعو إلى الاختلاط بين الرجال والنساء، وقد ظهرت المرأة في بعض المجتمعات كاشفة عن مفاتنها وجسدها بعد أن تطيبت وتزينت، بل إنها خرجت في الوسائل المقروءة والمرئية كذلك، وشاركت الرجال في كثير من الأعمال، وإني أحذر من ذلك اليوم كما حذرت منه بالأمس، فقد كتبت كتابًا في الثقافة الإسلامية منذ عشر سنوات، وهو مقرر على طلاب كليات المعلمين بالسعودية، تعرضت فيه لموضوع المرأة، وتكلمت وقارنت بين تكريم الإسلام لها وإهانة الجاهلية، ثم تعرضت لعمل المرأة، وقلت فيه بالحرف الواحد: «أما عن عمل المرأة فينبغي أن نعلم أن للمرأة مهمة عظيمة وشريفة لا يقدر غيرها أن يقوم بها، ألا وهي تربية الأجيال وصناعة الأبطال.

إن دور المرأة في تنشئة الجيل المسلم على الفضيلة والعلم دور كبير، وعلى الرجل أن يسعى على المرأة وعلى أولادها، وأن يوفر لهم ما يحتاجون إليه. ورغبة النساء في الخروج للعمل دون حاجة ما هو إلا تقليد لأعداء الإسلام، وهروب من المسئولية الكبيرة المنوطة بالمرأة، ألا وهي تربية الأجيال، وإني أحذر غاية الحذر من ترك أطفالنا من البنين والبنات للخادمات كي يقمن بدور الأم في الرعاية والتربية، وقد يكن كافرات فيعظم بذلك الخطب، وقد فقد الأبناء بسبب ذلك عاطفة الآباء، فظهر فيهم العقوق وقطيعة الرحم.

ضوابط خروج المرأة إلى العمل

وإذا احتاجت المرأة إلى العمل، أو احتاج المجتمع إلى عملها فيجوز لها بالضوابط التالية:

١- أن تخرج باللباس الإسلامي الذي أوجبه الله عليها، فالمرأة كلها عورة، وهي فتنة، فلا بد لها أولاً من التستر والحجاب، والالتزام بالآداب الإسلامية العامة.

٢- أن يكون ذلك بموافقة ولي أمرها، أو زوجها إن كانت متزوجة، ولا تخرج من بيتها إلا بإذنه.

٣- أن يكون العمل مناسبًا لطبيعة المرأة كأنثى؛ وذلك كالعمل في تدريس النساء وتطبيبهن، أو النشاطات الاجتماعية الأخرى التي تصلح لها المرأة، وتناسب وقارها وحشمتها.

٤- البعد عن الاختلاط بالرجال الأجانب؛ وذلك لأن للاختلاط مفاسد عظيمة، ونحن نشاهد اليوم ما وصلت إليه المجتمعات التي وقع فيها الاختلاط، وكيف انتشرت الرذيلة وشاعت الفاحشة، وانعدمت الفضيلة، وانتكست عن الفطرة.

٥- ألا يؤدي عملها خارج البيت إلى الإخلال بالواجبات الأساسية من القيام بحقوق الزوج ورعاية الأولاد». [من كتاب: محاضرات في الثقافة الإسلامية: د. عبد الله شاكر].

مفاسد الاختلاط في الدراسة

وفي دراسة علمية قامت بها الباحثة «فاطمة محمد رجاء» لنيل درجة الماجستير في إحدى الجامعات الأردنية؛ توصلت إلى نحو ٧٧ في المائة من أفراد عينة البحث ذهبوا إلى أن الاختلاط في الدراسة يُعد مشكلة لها آثارها السلبية أخلاقيًا ونفسيًا واقتصاديًا على الطلاب والطالبات، وقالت: إن الاختلاط له الكثير من السلبيات، ويسبّب مشكلات أخلاقية مثل: إثارة الفتنة، والتصنّع في التصرفات من قِبَل الجنسين، وتعرّض الفتيات لمضايقات الشباب، إضافة إلى ضعف الوازع الديني بسبب تعود الطلبة على الممارسات الخاطئة، واستباحة المنكرات؛ لكثرة تكرارها.

كما ذكر بعض الطلاب ضمن السلبيات: انتشار ظاهرة تبرج الطالبات مما أدى إلى انتشار الجرائم، مثل: الزنا؛ لأن كثرة الاختلاط مع وجود عوامل الفتنة تؤدي إلى ارتكاب الفاحشة، وهذا هو الحق الذي ندين لله به، ولهذا فإني أوجّه نصيحة إلى المسئولين في كل القطاعات بأن يتقوا الله تعالى في المرأة، وأن يحرصوا ويسعوا إلى عودتها إلى حجابها ووقارها وحشمتها، كما يجب على دعاة الفتنة الكفّ عن الأقوال الباطلة، وتزيين الأعمال الخاسرة.

والله الهادي إلى سواء السبيل.



قرصنة إسرائيل بين الوَهَن العربي والتخاذل العالمي !!

بقلم
رئيس التحرير
جمال سعد حاتم
GSHATEM@HOTMAIL.COM
GSHATEM@HYAHOO.COM

الحمد لله، معزّ الإسلام بنصره، ومُذلّ الكفر بقهره، ومصرف الأمور بأمره، ومديم النعم بشكره، ومستدرج الكفار بمكره، الذي قدر الأيام بعدله، وجعل العاقبة للمتقين بفضله، وبعدُ:

فما أشبه الليلة بالبارحة، فبالأمس القريب كان هجوم اليهود الصهاينة على غزة المحتلة؛ حيث كان القتل والدمار والتخريب، قتلوا الأطفال والشيوخ والنساء، ودمّروا المساجد وهدموا المنازل، واقتلعوا الأخضر واليابس، على مرأى ومسمع من إخوة الدين واللغة والعقيدة، وتحت سمع وبصر مدعي الحرية من الغرب الحاقد، والمنظمات الدولية، حاصروهم وأذلوهم، حتى بيانات الشجب والإدانة لم تَعُدْ ألسنتهم تقدرُ على ترديدها، إنه الحصار لكل ما هو إسلامي، ومع كثرة هواننا على الناس هبّت فئة قليلة ممن استيقظت ضمائرهم في محاولة لتحريك ضمائرنا، أمام عَدو غاشم لا يعير اهتماماً لأحد، فتحرك أصحاب الضمائر المستيقظة في محاولة منهم لإيقاظنا من ثباتنا العميق، وتحركوا بقافلة أطلقوا عليها قافلة الحرية، وقبل أن يصلوا إلى مبتغاهم كان المشهد الذي يُدمي القلوب، وتدمعُ له العيون... وما زال العرب والمسلمون يقفون في أماكنهم ينظرون إليهم نظرة الحَسْرة والندامة، وإنا لله وإنا إليه راجعون!!

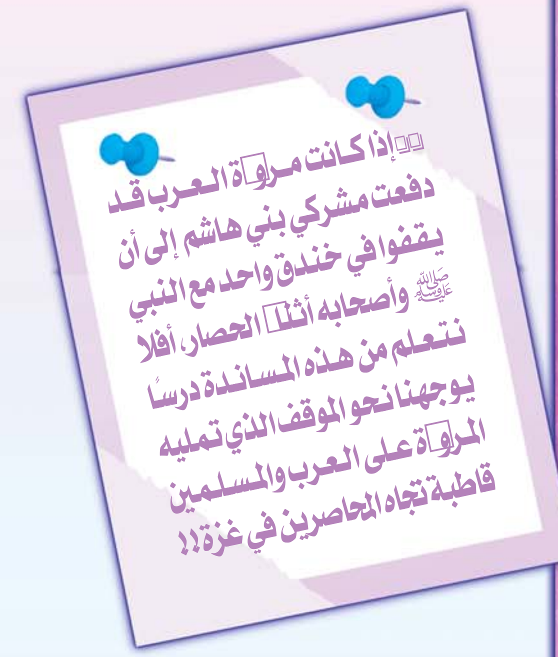
قافلة الحرية وإرهاب اليهود

فمما يُدمي القلب، وتدمع له العين، ما أصاب إخواننا شهداء النصرة ممن قامت بقلوبهم غيرة الإيمان والنخوة والمروءة، فهبوا لنصرة إخوانهم المظلومين، ففاجأهم إخوان القردة والخنازير بهجوم مباغت في مشهد بشع اختلطت فيه الدماء بالمياه لمن كانوا على قافلة الحرية.

فعلى متنها جمعت أناسًا جاءوا لنصرة المظلومين، وتلاقت بين جنباتها أنفاس الشباب والرجال الطاعنين في السن والنساء والأطفال ، جاءوا من كل حدب وصوب على أسطول الحرية الذي قدم دروسًا للمتخاذلين، ليذكرونا بأن الحق يعلو ولا يعلى عليه، وأن الله يهيئ له من خلقه من يشاء، وما أحوجنا في هذه الأيام، وفي تلك الأزمنة إلى قوافل للحرية، في زمن عظمت فيه المصيبة، وحلّت به الرزايا العصبية، وتخطّفت عالم الإسلام أيدي حاسديه، ونهشته أيدي أعاديه، فالكرامة مسلوبة، والحقوق منهوبة، والأراضي مغصوبة، ذبلت الأجساد، وجفّت الأكباد، وقرقرت البطون، وظمأت الأجواف، أطفال يصرخون، وشيوخ يئنون، ومرضى يتوجعون، وما أحوجنا إلى استشعار العزة والكرامة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

إغاثة شعب ونصرة مظلوم

ونحن نستطلع هذه الأحداث التي مرت بنا في الأيام



الماضية نتذكر الأحداث العظام من تاريخ أمتنا وسيرة نبينا ﷺ، فبعد سنوات من بعثة الرسول الأمين محمد ﷺ، تعاقد أئمة الكفر ورءوس الطغيان في مكة على مقاطعة بني هاشم وبني عبد المطلب مسلمهم وكافرهم لأنهم آزروا النبي ﷺ، وكتبوا صحيفة بذلك علقوها على الكعبة. فدخل بنو هاشم وبنو عبد المطلب شِعْب أبي طالب، وتركوا منازلهم في مكة، نصرةً للنبي ﷺ وحمية له، وإن كان كثير منهم على غير دينه، ومنعت قريش عنهم الطعام والشراب وكل ما يحتاجونه، وعظم الحصارُ عليهم، فأكلوا أوراق الشجر، وكل شيء رطب، وهلك منهم ناسٌ من الجوع، وبذل أبو طالب وهو مشرك جميع ماله، وكان صياح الصبيان يُسمع من وراء الشعب، من شدة الجوع والمخمصة، فيرقُّ أهل مكة لحال أهل الشعب، فيهرّبون الطعام والكساء لهم بالليل.

وبعد ثلاث سنوات من الحصار والجوع سعى بعض كبارهم إلى نقض تلك الصحيفة الظالمة، وما فعل المشركون من بني هاشم وبني عبد المطلب ما فعلوا حتى تركوا بيوتهم، وهجروا قبائلهم، وانحازوا إلى الشِّعب يقاسمون المسلمين الجوع والضراء والبأساء ثلاث سنوات تباعًا، ما فعلوا ذلك إلاَّ حمية للدم والنسب، ووفاء بواجب المروءة والشهامة، وحفظًا لحق الرحم والقرابة.

وإذا كانت مروءة العرب قد دفعت مشركي بني هاشم وبني عبد المطلب إلى أن يقفوا في خندق واحد مع النبي ﷺ وأصحابه أثناء الحصار، أفلا نتعلم من هذه المساندة درسًا يوجهنا نحو الموقف الذي تمليه المروءة على العرب والمسلمين قاطبة تجاه أهل فلسطين في غزة وفي الضفة وفي القدس الشريف؟!

وهل نكون لإخواننا في فلسطين كما كان بنو هاشم وبنو عبد المطلب لمحمد ﷺ ومن معه من المسلمين، يجري علينا ما يجري عليهم، ونعاني مما يعانون منه، ولا نخذلهم ولا نسلمهم لأعدائهم يفعلون بهم ما يشاءون، أم نحب أن نكون كأبي لهب الذي حالف الظلمة ضد الحق وضد أهله ورحمه؟!

وإذا كان خمسة من مشركي قريش قد سعوا في نقض صحيفة مقاطعة النبي ﷺ وأصحابه، وإذا كانت قافلة الحرية بمن فيها من الشرفاء وأصحاب الضمائر اليقظة قد سعوا لكسر هذا الحصار الظالم، فإننا نتساءل: ألا يوجد في الأمة الإسلامية، أمة المليار ونصف المليار مسلم أمثال هؤلاء؟!

إنها دعوة لذوي الأقلام الحرة، والنفوس الأبية، والحمية الإسلامية، والغيرة العربية، أن يعبِّروا عن رفضهم لهذا القهر والظلم الأمريكي الصهيوني لأمتنا ولإخواننا في فلسطين خاصة؟!

جرائم اليهود.. وجريمة البحر!!

فاليهود هم اليهود: أخبث الأمم طويةً، وأرداهم سَجِيَّةً، وأبعدهم من الرحمة، وأقربهم من النقمة، امتلأت قلوبهم بالحسد والحقد، يرتكبون المجازر تلو المجازر، ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [المائدة: ٨٢].

وهذا الحدث من طبيعة النفس اليهودية الساعية للإفساد والقائمة على الإجرام، وقد فعلوا ما هو أكبر من ذلك، فهم قتلة الأنبياء، وسفاكو الدماء، كذبوا على الله، وحرفوا كُتبه، وأكلوا السُّحت، ونقضوا المواثيق والعهود.

فليست جريمة الاعتداء على سفينة الحرية أولى جرائمهم، وقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى بجملة من كبائرهم؛ فقال تبارك وتعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ لَعَنَّاهُمْ﴾ [النساء: ١٥٤]، ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا (١٥٦) وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ﴾ [النساء: ١٥٦-١٥٧]، ﴿وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا (١٦٠) وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾ [النساء: ١٦٠- ١٦١].

هذه بعض جرائم اليهود في القرآن الكريم، واليوم تَلطَّخَتْ أيديهم بدماء القتلى من مسلمين وغيرهم ممن جاءوا لنجدة المظلومين المحاصرين من

أهل غزة وشعب فلسطين.

فاليهود لا يراعون في أحد ذمة ولا عهدًا، ولا يخافون الله في خلقه، كما أخبرنا تعالى بقوله: ﴿لاَ يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً﴾ [التوبة: ١٠]، وقال تعالى: ﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لاَ يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً﴾ [التوبة: ٨].

وقد رأينا ذلك واضحًا في الوحشية اليهودية تجاه أناس عُزَّل من بلدان مختلفة، لا يملكون من أمرهم شيئًا، وهكذا اليهود، ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا﴾ [المائدة: ٣٣].

واليهود قومٌ بهت: زعموا كذبًا وجود أسلحة في السفن المحملة بالمساعدات الغذائية والطبية، وتحججوا بأن ركاب السفينة قاوموا جنودهم بالسلاح؛ لتبرير جريمتهم النكراء، قال الله تعالى واصفًا حال اليهود أثناء القتال: ﴿لاَ يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلاَّ فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾، وظهر ذلك واضحًا جليًا في استخدامهم الطائرات والسفن الحربية لمقاتلة أشخاص عُزَّل!!

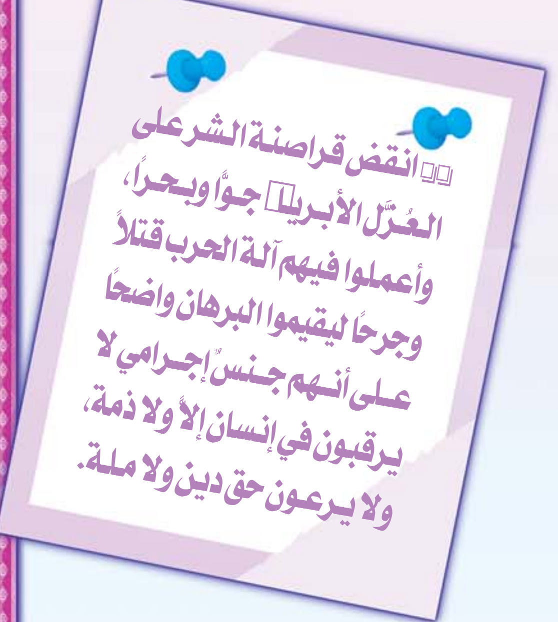
ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله

إن القرصنة اليهودية الدنيئة، والعمل الإجرامي الشائن الذي ارتكبه الكيان الصهيوني الغاصب على قافلة أسطول الحرية، ذلك المشروع الإنساني الإغاثي للشعب المحاصر في غزة، مخالفين بذلك الشرائع السماوية، والقوانين الأرضية، والأعراف الدولية؛ خرقوا به كل المواثيق الدولية، وأظهروا به عداءهم للبشرية والإنسانية.

فقد انقض قراصنة الشر على العُزَّل الأبرياء جوًا وبحرًا، وأعملوا فيهم آلة الحرب قتلاً وجرحًا ليقيموا البرهان واضحًا على أنهم جنسٌ إجرامي لا يرقبون في إنسان إلاً ولا ذمة، ولا يرعون حق دين ولا ملة.

ولقد صدق الله العظيم الذي أخبرنا عنهم في قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾، وقال عز وجل: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا﴾ [المائدة: ٦٥].

لقد سقط المجتمع الدولي المزيف سقوطًا مدويًا عندما عرقلت أمريكا إصدار قرار قوي من مجلس الأمن الأمريكي - أقصد الدولي - يدين تلك العربدة، وهذا الصلف والغرور الذي تبنته إسرائيل، مكتفين ببيان هزيل وُلد ميتًا، ولقد جرف القانون الدولي في سقوطه أكذوبة الشرعية الدولية التي تطبق على العرب والمسلمين فقط، وحافظت أمريكا على مشاعر إسرائيل فضغطت هنا وهناك حتى على الطرف



التركي نفسه، لكي يكون رد فعله هزيلاً خافتًا، بحيث لا يصدر عن المجتمع الدولي والمؤسسات الدولية ما يكدر خاطر أزلامها من الصهاينة في تل أبيب، بينما تطالب بتنفيذ قرار اعتقال البشير!! حقًا «إذا لم تستح فاصنع ما شئت»!!

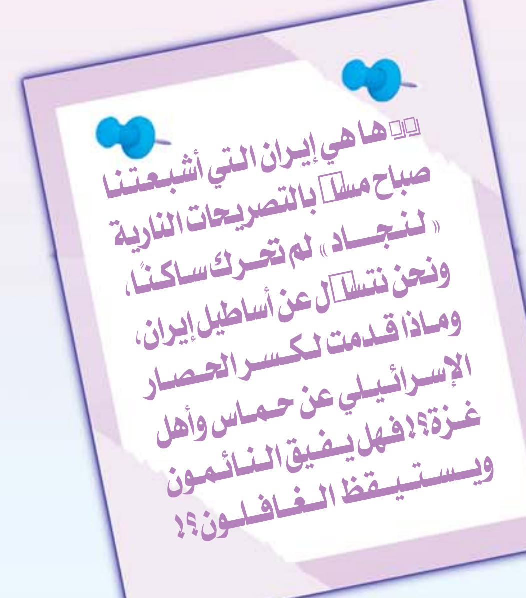
إن ما حدث لأسطول الحرية، وما حدث من بعده من اعتداء على سفينة المساعدات راشيل كوري ليدفعنا بشدة إلى أن نرجع إلى الوراء، لنسترجع تاريخنا الحافل المجيد ونهتدي بهدي نبينا ﷺ نطلب العزة والكرامة التي أعزنا بها الإسلام !!

الصمت العربي..والموقف التركي !!

ليس من الغريب أن تصمت الحكومات العربية عن أسطول الحرية، فهذا الأسطول الذي تبناه بعض عقلاء الغرب ومؤيدي الحقوق الإنسانية للشعب الفلسطيني ومعهم بعض المسلمين، يمثل - في حد ذاته - وصمة عارٍ للأنظمة العربية، فأين أساطيل العرب لدعم غزة وأهلها؟!

لقد تناسوا أن شعبًا بأكمله يعيش حصارًا كاملاً، يعيش الذل والمهانة، وويل للعرب من شر قد اقترب !! وهذا تحذير من رسول البشرية ﷺ، والدائرة تدور، والحصار ينتقل من دولة إلى أخرى طالما كان طرفها عربًا أو مسلمين!!

وليس ما حدث في العراق ببعيد عن أذهانكم، وما يحدث في أفغانستان والسودان، وليس يخفى على الجميع ما يُحاك ضد اليمن والسعودية ومصر، وفي كل موقع، ووراء كل مصيبة تشتم رائحة



إسرائيل وأمريكا وإيران، مع كل ما ينشر عن التوتر والخلاف بينهم، إنها المؤامرات، ولغة المصالح وأياديهم الملطخة بدماء المسلمين في العراق وأفغانستان والسودان، وكذلك في دول حوض النيل: إثيوبيا وأوغندا ورواندا وتنزانيا ومعها بوروندي والكونغو الديمقراطية في محاولة لضرب مصر والسودان في الصميم، والإيعاز إلى تلك الدول على التلاقي في عينتبي في أوغندا؛ للتوقيع على اتفاق جديد لتقاسم مياه النيل، يكون بديلاً عن الاتفاق ذي الطابع الدولي الموقع في عام ١٩٥٩م أيام الاستعمار الغربي من بريطانيا وإيطاليا وفرنسا لتلك الدول.

ولقد دخلت الصين على ذلك الخط، وتغير موقفها من القضايا العربية والإسلامية، بعدما كانت الصديق الأول المدافع عن القضايا العربية، مع أن ما يربط الصين بالدول العربية اقتصاداً يجعل الموقف أكثر تأثيراً بلغة المصالح؛ إلا أنها لم تفعل. وبلغة الأرقام فإن التجارة الثنائية بين الصين والدول العربية قد تجاوزت المائة بليون دولار في العام الماضي، مع وجود الأزمة المالية العالمية، وقد ارتفعت من ٣٦. ٤ بليون دولار، إلى ١٠٧. ٤ بليون دولار في العام ٢٠٠٩م. كما ارتفعت الاستثمارات الصينية المباشرة في البلاد العربية من ١,١ بليون إلى ٥,٥ بليون دولار بين عامي ٢٠٠٤م و٢٠٠٩م. وإذا كنا قد عرجنا بعيداً بعض الشيء عن الموضوع الرئيس للمقال إلاَّ أن عوامل الربط الشديدة والكبيرة هي التي دفعتنا إلى ذلك.

وعودة إلى الموضوع؛ فإنه على الرغم مما هو معروف عن العلاقات التركية الإسرائيلية الدبلوماسية والاقتصادية، بل والعسكرية، التي وصلت إلى حد إجراء مناورات مشتركة بينهما ومبيعات الأسلحة، فإننا نقدر ونرحب بالموقف التركي المتنامي في الدفاع عن القضايا العربية ضد غطرسة الكيان الصهيوني، وإننا نعتز بهذه المواقف التركية في نصرة القضايا العربية.

ورغم بشاعة الطعنة الموجعة التي وجهتها إسرائيل لتركيا، دون مراعاة للعلاقات الاستراتيجية بينهما؛ فإن تركيا لم تقطع العلاقات مع الكيان الصهيوني بعد حادث أسطول الحرية، ومع شدة التصريحات التي أطلقها أردوغان إلا أنه لم يطرد السفير الإسرائيلي، ربما بسبب ضغوط أمريكا لتخفف من حدة التصريحات التركية تجاه إسرائيل، وهذه الجزئية تحتاج إلى أكثر من مقالة على صفحات مجلة التوحيد.

الموقف المصري... والأبواق العربية والإيرانية !!

لقد اتخذت مصر موقفًا إيجابيًا متمثلاً في قرار الرئيس المصري محمد حسني مبارك بفتح معبر رفح لأجل غير مسمى، على الرغم من أن المعبر لم يكن يغلق بصفة دائمة، بل كان يتم فتحه أسبوعيًا للحالات الإنسانية، ومع ذلك فإن حركة حماس ماطلت وزايدت على موقف مصر من فتح معبر رفح، ورفضت حتى الآن توقيع اتفاقية المصالحة مع حركة فتح، تلك المصالحة التي دعت إليها مصر لوحدة الصف، والتي كان يمكن أن تجبر إسرائيل على فتح كل المعابر؛ لو لم تستمر حماس في المزايدة بإيعاز من بعض أصحاب المصالح عربيًا وإقليميًا.

وها هي إيران التي أشبعتنا صباح مساء بالتصريحات النارية لنجاد لم تحرك ساكنًا، ونحن نتساءل عن أساطيل إيران، وماذا قدمت لكسر الحصار الإسرائيلي عن حماس وأهل غزة؟! فهل يفيق النائمون ويستيقظ الغافلون؟!!!

ونحن في الختام لا نستطيع إلا أن نتقدم بأسمى معاني الشكر والامتنان لفخامة الرئيس مبارك على مبادرته بفتح معبر رفح، كي يستحي أصحاب الأبواق والميكرفونات الرنانة من أنفسهم، ولينظروا إلى ما قدمته مصر عبر السنين لفلسطين وللقضايا العربية!!

والله نسأل أن يقر أعيننا بنصرة الحق، ودحر الباطل، إنه على كل شيء قدير، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

سورة يس



قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ (٧١) وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ (٧٢) وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ (٧٣) وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ (٧٤) لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ (٧٥) فَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ (٧٦) أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ (٧٧) وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (٧٩) الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ (٨٠) أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (٨١) إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ

الأنعام من نعم الله

يلفت الله - تبارك وتعالى- أنظار الكافرين إلى دلائل القدرة، ودلائل العظمة والوحدانية مرة ثانية وثالثة ورابعة؛ فيقول جل وعلا: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا ﴾ والرؤية هنا قلبية، والمعنى: أو لم يعلموا ﴿ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا ﴾ مما انفردنا نحن به، وبخلقه وبإيجاده، لم يشركنا فيه أحد، ﴿ أَنْعَامًا ﴾ وهي الإبل والبقر والغنم بنوعيها: الضأن والماعز. ﴿ فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ (٧١) وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ ﴾ جعلها الله تبارك وتعالى أليفة أنيسة، تألف الإنسان وتأنس به، وتعيش معه حيثما كان، وبعد ذلك سخَّرها وجعلها ذلولة منقادة، انظر إلى الجمل وكِبَر حجمه، والولد الصغير يمشي به ويقوده، وهو مذلل منقاد، وإذا ربطت خمسين جملاً لقادها أيضًا، لا تشرد ولا تهيج، لكن إذا هاج الجمل وشرد، فمن الذي يقدر على تذليله مرة أخرى غير الله تبارك وتعالى؟!

ما يُركب من الأنعام وما لا يُركب

﴿ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ ﴾ من النعم ما يُركَب، ومن النعم ما لا يُركَب، أما ما يُركَب فالإبل، قال تعالى: ﴿ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [النحل: ٧]، وقال تبارك وتعالى عن الإبل أيضًا: ﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٧٩) وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴾ [غافر: ٧٩-٨٠].

أما البقر والغنم فلا تركب: فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ رَاكِبٌ عَلَى بَقَرَةٍ الْتَفَتَتْ إِلَيْهِ. فَقَالَتْ: لَمْ أُخْلَقْ لِهَذَا، إِنَّمَا خُلِقْتُ لِلْحِرَاثَةِ» [متفق عليه]. وقد أخرج البخاري هذا الحديث في باب استعمال البقر للحراثة. وقال الحافظ في «الفتح» : قال ابن بطال: في هذا الحديث حجة على من منع أكل الخيل مستدلاً بقوله تعالى ﴿ لتركبوها ﴾ فإنه لو كان ذلك دالاً على منع أكلها

لدل هذا الخبر على منع أكل البقر لقوله في هذا الحديث: «إنما خلقت للحرث» وقد اتفقوا على جواز أكلها فدل على أن المراد بالعموم المستفاد من جهة الامتنان في قوله: ﴿لتركبوها﴾ والمستفاد من صيغة إنما في قوله "إنما خلقت للحرث" عموم مخصوص.

﴿وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾: والإبل والبقر والغنم كلها مأكولة، ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ غير الركوب وغير الأكل، ﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ﴾ [النحل: ٨٠]، منافع كثيرة، ﴿وَمَشَارِبُ﴾، ﴿نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾ [النحل: ٦٦]، هل تشرب اللبن إذا رأيت فيه نقطة واحدة من الدم؟ لا والله، وهل تشربه لو نزل ورائحته رائحة الفرث؟؟ لا والله. إذن الله حمى اللبن من الفرث والدم، وأنزله سائغًا للشاربين، فلا بد أن تقول الحمد لله، ولا بد أن تتفكر في دلائل قدرة الله عز وجل.

وحين تركب الجمل وغيره تقول: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ (١٣) وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾ [الزخرف: ١٣-١٤]، وحين تحلب البقر أو الإبل أو الغنم تقول: الحمد لله، وحين تقصّ صوف الغنم تقول الحمد لله، وحين تغزل منها الثياب تقول الحمد لله، لا بد أن تتفكر في دلائل قدرة الله.

وجوب شكر الله على نعمه

﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ اللهَ مع كل هذه النعم؟! ولو شكروه لزادهم، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ (٧) وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧-٨]، فلا بد من شكر الله على هذه النعم التي لا تُعدّ ولا تُحصى، ﴿كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ [سبأ: ١٥]، ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [البقرة: ٦٠]، هذه نعم لا يليق بنا أن نقابلها بالكفر، هذه نعم لا يليق بنا أن نقابلها بالمعصية، وصدق القائل:

إذا كنت في نعمة فارعها
فإن المعاصي تزيل النعم
وحافظ عليها بشكر الإله
فإن الإله سريع النقم

الآلهة الباطلة لا تنصر عابديها في الدنيا ولا في الآخرة

﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً﴾: سبحان الله! ما أحسن قول القائل:

فواعجبا كيف يُعصى الإله
أم كيف يجحده الجاحد؟!!!
وفي كل شيء له آية
تدل على أنه الواحد

﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ﴾ يرجون من هذه الآلهة أن تنصرهم، وتدفع عنهم عذاب الله، وترد عنهم بأس الله، قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ﴾ أي ﴿وَهُمْ﴾ يعني المشركين ﴿لَهُمْ﴾ أي للأصنام ﴿جُنْدٌ مُحْضَرُونَ﴾ هم الذين يدافعون عن الأصنام، وهم الذين يحمونها، وهم الذين ينصرونها، فكيف يرجون نصرها؟!

وقيل: إن هذه الآلهة لو جنَّدت نفسها، وأخذت أسلحتها، وتأهبت لتنصر من يعبدها، لا تستطيع نصرهم، كيف وهم غير مجندين أصلاً، وغير مؤهلين للنصر.

وقيل: ﴿وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ﴾ يعني هذه الآلهة والذين يعبدونها من دون الله، محضرون جميعًا في النار يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٨]، وكما قال تعالى: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (٢٢) مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٢٢-٢٣].

﴿فَلَا يَحْزُنْكَ﴾ يا نبيَّنا ﴿قَوْلُهُمْ﴾. لقد كانوا يقولون في حقِّ الله ما لا يليق بجلال الله، وكان النبي ﷺ يحزن عندما يسمع من ذلك، فقال الله له: ﴿فَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ﴾.

ولقد كانوا يقولون في القرآن ما يشق على النبي ﷺ سماعه؛ فيحزن لسماعه، فقال الله له: ﴿فَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ﴾. ولقد كانوا يقولون في النبي نفسه ما يحزنه، فقال الله له: ﴿فَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ﴾، لا تحزن لماذا؟ ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾، والعلم يقتضي المجازاة على ما علمه الله منهم، فلا تحزن؛ لأن الله لن يتركهم.

وقدم السر على العلن ليفيد إحاطته بهم علمًا، إذا كان يعلم الكلام الذي هو في نفسك قبل أن تقوله، فكيف يخفى عليه ما تقوله؟! كما قال تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الملك: ١٣]، وقال تعالى: ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ [الرعد: ١٠]، يعني تجهر بصوتك أو تخفضه؛ فإن الله سبحانه وتعالى يسمعك، حتى يعلم ما في نفسك.

دلائل البعث

الدليل الأول: أن الله خلق الإنسان أول مرة، فلن يعجز عن إعادته:

﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾: الذي يعرف أصله الحقير المهين، كيف يتكبر ويتعالى على الله، وكيف يجادل في الله بالباطل؟ ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ مبين في خصامه ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٥].

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾ هذا مثال لخصومة الإنسان في الله عز وجل ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾ يعني أول مرة، ﴿قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن العاص ابن وائل أخذ عظمًا من البطحاء، ففتّه بيده، ثم قال لرسول الله ﷺ: أيحيي الله هذا بعد ما أرَمَّ؟! فقال رسول الله ﷺ: «نعم، يميتك، ثم يحييك، ثم يدخلك جهنم. قال: ونزلت الآيات من آخر يس» [الصحيح المسند من أسباب النزول: ص١٢٩].

فقال جل وعلا: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ (٧٧) وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾

وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٦٢]، فتعلمون أن الذي أنشأكم من العدم لن يعجز عن إعادتكم بعد الموت؛ لأن الإعادة أسهل من البدء، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧]، فليس شيء هينًا على الله وشيء أهون، ولكن يضرب الله لكم الأمثال حتى تعقلوا عنه مراده.

شبه المنكرين للبعث والرد عليها

وهكذا قرر الله تعالى المعاد بذكر كمال علمه، وكمال قدرته، فإن شُبَه المنكرين له كلها تعود إلى ثلاثة أنواع:

أحدها: اختلاط أجزائهم بأجزاء الأرض على وجه لا يتميز ولا يحصل معها تميز شخص عن شخص.

الثاني: أن القدرة لا تتعلق بذلك.

الثالث: أن ذلك أمر لا فائدة فيه، أو إنما الحكمة اقتضت دوام هذا النوع الإنساني شيئًا بعد شيء هكذا أبدًا، كلما مات جيل خلفه جيل آخر، فأما أن يميت النوع الإنساني كله ثم يحييه بعد ذلك فلا حكمة في ذلك. فجاءت براهين المعاد في القرآن مبنية على ثلاثة أصول:

أحدها: تقرير كمال علم الرب سبحانه، كما قال في جواب من ﴿قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ (٨٥) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [الحجر: ٨٥-٨٦]، وقال تعالى: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾ [ق:٤].

والثاني: تقرير كمال قدرته، كقوله تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [يس: ٨١]، وقوله جل وعلا: ﴿بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾ [القيامة: ٤]، وقوله تبارك وتعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحج: ٦]، وقد يجمع الله بين الأمرين، كما في قوله: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [يس: ٨١].

الثالث: كمال حكمته، كقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾ [الأنبياء: ١٦]، وقوله جل وعلا: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا﴾ [ص: ٢٧]، وقوله تبارك وتعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ١٦]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (١١٥) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٥-١١٦]، وقوله جل شأنه: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١]، ولهذا كان الصواب أن المعاد معلوم بالعقل مع الشرع، وأن كمال الرب تعالى وكمال أسمائه وصفاته تقتضيه وتوجبه، وأنه منزه عما يقوله منكروه، كما ينزه كماله عن سائر العيوب والنقائص. [الفوائد لابن القيم، ص٦-٧].

وهذه الآيات أشبه ما تكون بما ذكر الله تعالى في أول سورة ق؛ فإنه سبحانه حكى قول المشركين: ﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ ثم قال ردًّا عليهم: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾ [ق: ٣-٤]. فهذا هو العلم، ثم لفت

أنظارهم إلى القدرة، فقال تبارك وتعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ (٦) وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٧) تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ (٨) وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ (٩) وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ (١٠) رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴾ [ق: ٦-١١].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «قَالَ رَجُلٌ لَمْ يَعْمَلْ حَسَنَةً قَطُّ لِأَهْلِهِ: إِذَا مَاتَ فَحَرِّقُوهُ، ثُمَّ اذْرُوا نِصْفَهُ فِي الْبَرِّ، وَنِصْفَهُ فِي الْبَحْرِ؛ فَوَاللَّهِ لَئِنْ قَدَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ لَيُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا لَا يُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ. فَلَمَّا مَاتَ الرَّجُلُ فَعَلُوا مَا أَمَرَهُمْ؛ فَأَمَرَ اللَّهُ الْبَرَّ فَجَمَعَ مَا فِيهِ، وَأَمَرَ الْبَحْرَ فَجَمَعَ مَا فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: لِمَ فَعَلْتَ هَذَا؟ قَالَ: مِنْ خَشْيَتِكَ يَا رَبِّ وَأَنْتَ أَعْلَمُ. فَغَفَرَ اللَّهُ لَهُ» [مسلم ٢٧٥٦]، وقال تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ (٣) بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴾ [القيامة: ٣-٤].

الدليل الثاني من دلائل البعث: أنه سبحانه ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ ﴾ أي الذي بدأ خلق هذا الشجر من ماء حتى صار خضرًا نضرًا؛ فأثمر وينع، ثم أعاده إلى أن صار حطبًا يابسًا تُوقد به النار، كذلك هو فعَّال لما يشاء، قادر على ما يريد، لا يمنعه شيء، قال قتادة في قوله: ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ ﴾ يقول: الذي أخرج هذه النار من الشجر قادر على أن يبعثه، وقيل المراد بذلك شجر المَرْخ والعَفَار، ينبت في أرض الحجاز، فيأتي من أراد قدح نار وليس معه زناد، فيأخذ منه عودين أخضرين، فيقدح أحدهما بالآخر، فتتولد النار من بينهما كالزناد سواء، وروي هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما، وفي المثل: لكل شجر نار، واستمجد المرخ والعفار، وقال الحكماء: في كل شجر نار إلا الغاب. [تفسير القرآن العظيم ٣ / ٥٨٢].

الدليل الثالث: أن الله تعالى خلق السموات والأرض، وهما أشد خلقًا، فلن يعجز عن إعادة الإنسان الضعيف: قال سبحانه: ﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴾.

من أشد خلقًا؟ الإنسان أم السماء؟ ﴿ أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴾ [النازعات: ٢٧]، والجواب: السماء أشد خلقًا، كما قال تعالى: ﴿ لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [غافر: ٥٧]، فإذا كانت السماء أشد خلقًا، والله ﴿ بَنَاهَا (٢٧) رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا (٢٨) وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا (٢٩) وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا (٣٠) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا (٣١) وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا (٣٢) مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴾ [النازعات: ٢٧- ٣٣]، فكيف يعجز عن إعادة الإنسان؟! قال سبحانه: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الأحقاف: ٣٣].

قال جل شأنه: ﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴾ قادر سبحانه وتعالى، ﴿ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴾ صيغة مبالغة في الخلق، فإنه متكرر ومتجدد، كما قال سبحانه: ﴿ أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ [ق: ١٥]، وهو سبحانه ﴿ الْعَلِيمُ ﴾ قدرة مع علم، لا يعجز متصف بهما عن إعادة الموتى بعد موتهم. ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴾ [القمر: ٥٠].

ثم نزه الله تعالى نفسه عما وصفه به المشركون من العجز عن إحياء الموتى، فقال سبحانه: ﴿ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾، ومادام الملك كله بيده، وهو المتصرف فيه، فلن يعجز عن إعادة الموتى بعد موتهم، ولذلك قال: ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ لتُجزى كل نفس بما كسبت، وتوفَّى كل نفس ما عملت.

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ». [البخاري ٣٤٣٥].

ونحن نشهد أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، ونشهد أن الْجَنَّةَ حَقٌّ وَالنَّار حَقٌّ، وأن البعث حق، ونرجو بهذه الشهادة أن يدخلنا ربنا الجنة على ما كان منا من ضعف وتقصير في العمل.

وهكذا نكون قد انتهينا من تفسير هذه السورة العظيمة من كتاب ربنا تبارك وتعالى، ونكمل في العدد القادم إن شاء الله وقدر، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وسلم.



الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين، أحمده تعالى وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره وأصلي وأسلم على خير خلقه وخاتم رسله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد:

عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى عضوًا تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى».

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه؛ كتاب الأدب، باب (رحمة الله والناس والبهائم) برقم (٦٠١١)، كما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه؛ كتاب البر والصلة، باب (تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم)، وأخرجه أيضًا الإمام أحمد في المسند برقم (٤ / ٢٧٠ – ٢٧٦).

شرح المفردات

قوله: «ترى المؤمنين» في رواية مسلم: «مثل المؤمنين»، والمراد بالمؤمنين كاملو الإيمان، الذين اكتمل إيمانهم فلا يتصرفون في أمورهم إلا على كمال الإيمان، لذا كانوا جديرين بهذه الأوصاف.

وقوله: «في تراحمهم» أي أنهم يرحم بعضهم بعضًا، والرحمة متبادلة بينهم، كل منهم يبذلها للآخر، ولا يعامله في معاملة دنيوية أو دينية إلا بمقتضى الرحمة التي جعلها الله تعالى في قلبه.

وقوله: «وتوادِّهم» الأصل أن يُقال في تواددهم، لكن أدغمت الدال في الدال فصارت دالاً واحدة مشددة.

وقوله: «وتعاطفهم» أي أنهم يعطف بعضهم على بعض، ويحنو بعضهم على بعض، والمراد إعانة بعضهم بعضًا كما يُعطف الثوب على الثوب ليقويه.

وقوله: «كمثل الجسد» أي بالنسبة لجميع أعضائه، ووجه الشبه فيه التوافق في التعب والراحة.

وقوله: «تداعى» أي: دعا بعضه بعضًا إلى المشاركة في الألم، ومنه: «تداعى الأكلة إلى قصعتها» أي: أن كل أمة تدعو غيرها للمشاركة في الهجوم على المسلمين.

وقوله: «بالسهر والحمى»: أما السهر فلأن الألم والتعب يمنع النوم، وأما الحمى فلأن الألم وفَقْد النوم يثيرها. قال الحافظ: وقد عرَّف أهل الحذق الحمى بأنها حرارة غريزية تشتعل في القلب فتشبّ منه في جميع البدن فتشتعل اشتعالاً يضر بالأفعال الطبيعية.

شرح الحديث

وصف النبي ﷺ في هذا الحديث المؤمنين بثلاث صفات؛ شبههم فيها بالجسد الواحد المترابطة أجزاؤه المتوافقة أعضاؤه، التي لا تنفك عنه بحالٍ من الأحوال؛ هذه الصفات هي:

أولاً: التراحم

وهذه الصفة التي جاءت على صيغة التفاعل

تقتضي الرحمة المتبادلة بين أفراد الأمة المسلمة، فكل واحد منهم يرحم غيره، وقد جاء في تعريف الرحمة: أنها إرادة إيصال الخير إلى الغير، كما جاء في تعريفها أيضًا أنها: حالة وجدانية تعرض غالبًا لمن به رقة القلب، وتكون مبدأ للانعطاف النفساني الذي هو مبدأ الإحسان.

هذا، وقد جاءت الرحمة في القرآن الكريم بمعاني كثيرة، منها أنها تعني الألفة والمحبة بين أهل الإيمان، كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ [الحديد: ٢٧].

الرحمة تقتضي الحزم

الرحمة صفة تقتضي إيصال المنافع والمصالح إلى الإنسان، وإن كرهتها نفسه وشقت عليه، فهذه هي الرحمة الحقيقية؛ فأرحم الناس بالناس من شق عليهم في إيصال مصالحهم إليهم، ودفع المضار عنهم، فمن رحمة الأب بولده أن يكرهه على التأدب بالعلم والعمل، ويشق عليه في ذلك بالضرب وغيره، ويمنعه شهواته التي تعود عليه بالضرر والفساد، ومتى أهمل ذلك مع ولده كان ذلك لقلة رحمته به، وإن ظن أنه يرحمه بالإهمال ويرفهه ويريحه، فهذه رحمة مقرونة بجهل، ولذلك كان من تمام رحمة أرحم الراحمين سبحانه تسليط أنواع البلاء على العبد؛ فابتلاؤه له وامتحانه ومنعه من كثير من أغراضه وشهواته من رحمته سبحانه وتعالى به.

وصدق أبو تمام في قوله:

قسا ليزدجروا، ومن يك حازمًا
فليقسُ أحيانًا على مَن يرحم

من صور رحمة الله تعالى بعباده

من رحمة الله تعالى بعباده ابتلاؤهم بالأوامر والنواهي، رحمة لهم وتفضلاً عليهم، لا حاجة منه إليهم فيما أمرهم به أو نهاهم عنه، سبحانه، ومن رحمته سبحانه بعباده أن نغّص عليهم الدنيا وجعلها عليهم كَبَدًا لئلا يطمئنوا إليها ويرغبوا عن النعيم المقيم في جنته ودار كرامته؛ فساقهم إليها بسياط الابتلاء؛ فمنعهم ليعطيهم، وابتلاهم ليعافيهم، وأماتهم ليحييهم، وأمرهم سبحانه أن يفرحوا بهذه الرحمة التي تَفَضَّل بها عليهم، قال تبارك وتعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨].

وهذه الرحمة التي تحصل للمؤمنين المهتدين تكون بحسب هداهم، فكلما كان نصيب الواحد من الهداية أتم كان حظه من الرحمة أعظم وأوفر، لذلك كان الصحابة رضوان الله عليهم أرحم الأمة، قال الله تعالى في شأنهم: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، والصديق رضي الله عنه كان أرحم الأمة بالأمة؛ لأن الله تعالى جمع له بين سعة العلم وسعة الرحمة.

الرحمة صفة من صفات نبي الهدى والرحمة ﷺ

لقد كان نبينا محمد ﷺ رحيمًا بالخلق عمومًا، وبالمؤمنين على وجه الخصوص، وقد وصفه الله تعالى بذلك؛ فمدحه وبيَّن فضله صلوات الله وسلامه عليه، كما جاء أيضًا في سنته الكثير مما يبين اتصافه ﷺ بالرحمة، فمن ذلك ما جاء في كتاب الله تعالى قال جل ثناؤه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقال جل ذكره: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

ومما ورد في السنة مما يبين ذلك:

١- حديث أسامة بن زيد - رضي الله عنهما - قال: كان رسول الله ﷺ يأخذني فيُقعدني على فخذه، ويُقعد الحسن بن علي على فخذه الآخر، ثم يضمهما ثم يقول: «اللهم ارحمهما؛ فإني أرحمهما». [أخرجه البخاري: ٦٠٠٣].

٢- حديث مالك بن الحويرث - رضي الله عنه - قال: أتيتنا النبي ﷺ ونحن شَبَبَةٌ متقاربون، فأقمنا عنده عشرين ليلة، فظن أنا اشتقنا أهلنا، وسألنا عمن تركنا في أهلنا فأخبرناه، وكان رقيقًا رحيمًا ﷺ، فقال: «ارجعوا إلى أهليكم؛ فعلموهم ومروهم، وصلوا كما رأيتموني أصلي، وإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم ثم ليؤمكم أكبركم». [متفق عليه واللفظ للبخاري].

٣- حديث أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - قال: كان رسول الله ﷺ يسمّي لنا نفسه أسماء، فقال: «أنا محمد، وأنا أحمد، والمقفِّي، والحاشر، ونبي التوبة، ونبي الرحمة». [مسلم: ٢٣٥٥].

٤- حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن الأقرع بن حابس أبصر النبي ﷺ يقبِّل الحسن، فقال: إن لي عشرة من الولد ما قبَّلت واحدًا منهم، فقال رسول الله ﷺ: «إنه من لا يَرْحَمُ لا يُرْحَمْ». [متفق عليه].

٥- حديث عائشة رضي الله عنها قالت: أعتم النبي ﷺ ذات ليلة حتى ذهب عامة الليل، وحتى نام أهل المسجد، ثم خرج فصلى - أي العشاء - فقال: «إنه لوقتها لولا أن أشق على أمتي». [متفق عليه واللفظ لمسلم].

٦- حديث أبي قتادة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأقوم في الصلاة أريد أن أطوّل فيها، فأسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي كراهية أن أشق على أمه». [متفق عليه، واللفظ للبخاري].

٧- حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله، ادع على المشركين، قال ﷺ: «إني لم أُبعث

لعانًا، وإنما بُعثت رحمة». [مسلم: ٢٥٩٩].

٨- حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما أن ابنة النبي ﷺ ورضي عنها أرسلت إليه عند وفاة ابنها فأتاها ومعه سعد بن عبادة ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وزيد بن ثابت ورجال، فرُفع الصبي إلى النبي ﷺ ونفسه تقعقع، ففاضت عينا رسول الله ﷺ، فقال سعد: ما هذا يا رسول الله؟ فقال: «هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء». [متفق عليه واللفظ للبخاري].

٩- حديث أنس بن مالك رضي الله عنه في شأن دخول النبي ﷺ على ابنه إبراهيم وهو يجود بنفسه، فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان، فقال له عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: وأنت يا رسول الله؟ فقال: «يا ابن عوف، إنها رحمة»، ثم أتبعها بأخرى، فقال ﷺ: «إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون». [متفق عليه واللفظ للبخاري].

١٠- حديث عائشة زوج النبي ﷺ ورضي عنها، وفيه أنه ﷺ رأى جبريل، فقال له جبريل: إن الله بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، قال ﷺ: «فناداني ملك الجبال فسلم عليَّ، ثم قال: يا محمد، فقال: ذلك فيما شئت، إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين، فقال النبي ﷺ: بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئًا». [متفق عليه واللفظ للبخاري].

تراحم الصحابة رضي الله عنهم

وأصحاب النبي ﷺ ورضي الله عنهم كانوا رحماء بينهم، كما قال الله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، كان كبيرهم يرحم صغيرهم، وصغيرهم يوقر كبيرهم، وفي هذا من التراحم ما يجعلهم خير من اقتدى برسول الله ﷺ وتأسى به، كيف وقد عاينوا رحمة رسول الله ﷺ بالكبير والصغير والمسلم وغير المسلم من كتابيّ وغير كتابي، فقد خلّفوا لنا التراحم، فهل نتأسى بهم كما تأسوا برسولهم صلوات الله وسلامه عليهم ورضي الله عنهم أجمعين؟!

ثانيًا: التوادُّ

جاءت هذه الصفة في الحديث على صيغة التفاعل التي تقتضي أن يكون التعامل فيها بين طرفين فأكثر، فكل مؤمن يودُّ أخاه، ويودُّه أخوه، فهي مفاعَلَة من الجانبين.

وعُرِّفَ التوادُّ بأنه التواصل الجالب للمحبة، أو هو التواصل على المحبة، وعُرِّفَ أيضًا بأنه طلب مودة الأكفاء بما يوجب ذلك.

وقد استعمل التودد بمعنى المحبة، وبمعنى التمني، قال الراغب في المفردات: الودُّ محبة الشيء وتمني كونه، ويستعمل في كل من المعنيين - أي المحبة والتمني - على أن التمني يتضمن معنى الودِّ؛ لأن التمني هو تشهي حصول ما نودّه، وقوله عز وجل: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١]، وقوله تبارك وتعالى: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦]، إشارة إلى ما أوقع بينهم من الألفة المذكورة في قوله سبحانه: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٩٣]. وفي المودة التي تقتضي المحبة المجردة جاء قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى: ٢٣]، وقال ابن منظور: الودُّ: الحب، يكون في جميع مداخل الخير.

التودد بين المسلمين

عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أن رجلاً من الأعراب لقيه بطريق مكة، فسلم عليه عبد الله، وحمله على حمار كان يركبه، وأعطاه عمامة كانت على رأسه، فقيل له: أصلحك الله! إنهم الأعراب، وإنهم يرضون باليسير، فقال عبد الله: إن أبا هذا كان وُدًّا لعمر بن الخطاب، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أبرّ البر صلة الولد أهل وُدِّ أبيه». [مسلم: ٢٥٥٢].

وقد رغَّب النبي ﷺ أن يتزوج المسلم المرأة الودود - أي ذات الوُدِّ والتودُّد والتحبب لزوجها، وهي البكر الولود؛ لأن وجود الولد بين الزوجين من دواعي المودة والألفة والمحبة، فعن معقل بن يسار - رضي الله عنه - قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني أصبت امرأة ذات حسب وجمال، وإنها لا تلد، أفأتزوجها؟ قال: «لا». ثم أتاه الثانية فنهاه، ثم أتاه الثالثة، فقال: «تزوجوا الودود الولود؛ فإني مكاثر بكم الأمم». [أخرجه أبو داود والنسائي، وصححه الألباني في صحيح الجامع: ٢٩٤٠].

وقد نفى رسول الله ﷺ أن تكون هناك خلة بينه ﷺ وبين أحد من المسلمين، ولو كان متخذًا خليلاً لاتخذ أبا بكر رضي الله عنه خليلاً، فقال كما جاء في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «... ولو كنت متخذًا خليلاً لاتخذت أبا بكر، ولكن أخوة الإسلام ومودته، لا يبقين في المسجد باب إلا سُدَّ، إلا باب أبي بكر».

هذا، وقد وردت آثار عن بعض الصحابة والتابعين وأئمة الهدى في أهمية التودد بين المسلمين، نذكر طرفًا منها، وقد نقلناها من كتاب نضرة النعيم، فمن ذلك:

١- قال عمر رضي الله عنه: «ثلاث يصفين لك ود أخيك: أن تسلم عليه إذا لقيته، وتوسّع له في المجلس، وتدعوه بأحب أسمائه إليه».

٢- قال الأحنف بن قيس: «خير الإخوان إن استغنيت عنه لم يزدك في المودة، وإن احتجت إليه لم ينقصك منها».

٣- قال الماوردي: «البر هو المعروف، ويتنوع نوعين قولاً وعملاً؛ فأما القول فهو طيب الكلام وحسن البِشْر، والتودد بجميل القول، وهذا يبعث عليه حُسن الخلق ورقة الطبع».

٤- كتب إبراهيم بن العباس إلى أحد إخوانه: «المودة يجمعنا حبلها، والصناعة تؤلفنا أسبابها، وما بين ذلك من تراحم في لقاء أو تخلف في مكاتبة موضوع بيننا يجب العذر فيه».

٥- عن الحسين بن عبد الرحمن قال: كان يقال: «إن المودَّة قرابة مستفادة». وقالوا: «إن الصديق من صدقك وده، وبذل لك رفده»، وقيل: «القرابة تحتاج إلى مودة، والمودة لا تحتاج إلى قرابة».

٦- قال جعفر الصادق - رحمه الله تعالى -: «مودةُ يوم صلةٌ، ومودةُ شهر قرابةٌ، ومودة سنة رحم مائية، من قطعها قطعه الله».

ثالثًا: التعاطف:

وهذه الصفة الثالثة التي جاءت في الحديث؛ جاءت أيضًا بصيغة التفاعل التي تدل على حدوث العطف من جانبين، أي أن كل مسلم يعطف على أخيه المسلم، ويرأف به ويرحمه ويشفق عليه.

ومادة عَطَفَ تدل على الانثناء والانعياج، يقال: عَطَفْتُ الشيء أيْ أملته، وانعطف إذا انعاج، ويقال: عَطَفَ يَعْطِفُ من باب (ضرب)، وهو الحنان والميل، تقول: عَطَفَتَ الناقة على ولدها عطفًا إذا حنَّتْ عليه ودَرَّ لبنها، وعطف الله تعالى قلب السلطان على رعيته إذا جعله عاطفًا رحيمًا. ويقال أيضًا: امرأة عَطُوفٌ: مُحِبَّة لزوجها، حانية على أولادها، وامرأة عَطَفٌ: لينة هينة ذلول مطواع لا كبر فيها.

ويقال كذلك: تعطّف عليه: وصله وبرَّه، وتعطف على رَحِمه: رَقَّ لها وأشفق، وتعاطفوا: عطف بعضهم على بعض، ورجل عاطف وعطوف أي عائد بفضله، حسن الخُلُق.

وقال الراغب: العطف يقال في الشيء إذا ثني أحد طرفيه إلى الآخر؛ كعطف الغصن والوسادة والحبل، ويستعار للميل والشفقة إذا عُدِّيَ بـ (على) نحو عطف عليه، وإذا عدى بـ «عن» يكون على الضِّد، نحو: عطفت عنه بمعنى أعرضت وصددت.

الفرق بين التراحم والتواد والتعاطف

نقل الحافظ في الفتح عن أبي محمد بن أبي جمرة قوله: الذي يظهر أن التراحم والتوادد والتعاطف - وإن كانت متقاربة في المعنى - لكن بينها فرق لطيف، فأما التراحم فالمراد به أن يرحم بعضهم بعضًا بأخوة الإيمان لا بسبب شيء آخر، وأما التواد فالمراد به التواصل الجالب للمحبة كالتزاور والتهادي، وأما التعاطف، فالمراد به إعانة بعضهم بعضًا، كما يعطف الثوب عليه ليقويه. اهـ.

قال القاضي عياض: «.. فتشبيهه ﷺ المؤمنين بالجسد الواحد تمثيل صحيح، وفيه تقريب للفهم، وإظهار للمعاني في الصور المرئية. وفي الحديث تعظيم حقوق المسلمين، والحض على تعاونهم، وملاطفة بعضهم بعضًا».

وقال ابن أبي جمرة: «شبّه النبي ﷺ الإيمان بالجسد، وأهله بالأعضاء؛ لأن الإيمان أصل، وفروعه التكاليف، فإذا أخلَّ المرء بشيء من التكاليف شَانَ ذلك الإخلالُ الأصلَ، وكذلك الجسد أصل كالشجرة، وأعضاؤه كالأغصان، فإذا اشتكى عضو من الأعضاء اشتكت الأعضاء كلها؛ كالشجرة إذا ضُربَ من أغصانها غصن اهتزت كلها بالتحرك والاضطراب.

الذي يجب أن يكون عليه حال المسلمين:

على المسلمين أن يتمسكوا بدينهم، ويعملوا بكتاب ربهم وسنة بينهم صلوات الله وسلامه عليه، عليهم أن يهتدوا بهدي القرآن الكريم الذي قال عنه منزله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، وبهدي خاتم النبيين وإمام المرسلين محمد ﷺ، فإن فعلوا كانوا خير أمة أخرجت للناس؛ تسود بينهم الألفة والمودة والرحمة والعطف والرأفة، ذلك لأنهم إخوة، كما وصفهم رب العالمين في قوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾، وكما امتن عليهم رب العزة سبحانه بتأليف قلوبهم بعد أن كانوا متفرقين، فقال جل ثناؤه آمرًا إياهم بالاعتصام بحبله: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا...﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ونهاهم عن التفرق فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

فإذا عرف المسلمون حقيقة الدنيا، فإنهم لن يتنافسوها كما تنافسها الذين من قبلهم، ولن يقطع أحد رحمه ولن يعادي إخوانه، وإنما يسود التراحم والتواد والتعاطف؛ لأن الجميع يريد رضا رب العالمين، ولا يحرص على الدنيا ومتاعها الذي يؤدي إلى التقاطع والتدابر والتخاصم الذي يؤدي بصاحبه إلى سخط الرب تبارك وتعالى، وإلى غضب الخلق والقسوة بينهم.

نسأل الله تعالى أن يهدينا وسائر المسلمين صراطه المستقيم، وأن يوفقنا لما يحب ويرضى، وأن يباعد بيننا وبين سوء الأخلاق، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.



باب الفقه

أحكام الوضوء

- الحلقة الثالثة -

صفة وضوء النبي





الجزء الثاني

إعداد: د/ حمدي طه



الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه. وبعد:

فقد بدأنا في الحلقة السابقة الكلام عن صفة وضوء النبي ﷺ، وفي هذه الحلقة نكمل ما تبقى من أعمال الوضوء؛ فنقول وبالله تعالى التوفيق:

٧- مسح الرأس

هو إمرار اليد المبتلة بالماء على الرأس بلا تسييل. [التعريفات للجرجاني].

حكمه: اتفق الفقهاء على أن مسح الرأس من فروض الوضوء التي لا يصح الوضوء إلا به؛ لقوله تعالى: ﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ الآية.

وللأحاديث الواردة في وصف وضوء النبي ﷺ، ومنها حديث عثمان بن عفان، وفيه: «ثم مسح برأسه». [متفق عليه]. وللإجماع الفقهاء على ذلك. [الموسوعة الفقهية ٤٣ / ٣٤٧].

القدر المجزئ في مسح الرأس

ذهب المالكية في المشهور والحنابلة في إحدى الروايتين عن أحمد إلى وجوب مسح كل الرأس، وذهب الجمهور إلى عدم وجوب مسح كل الرأس، وإن كان يستحب عندهم مسح كل الرأس؛ لأنه فعل النبي ﷺ.

احتج من قال بوجوب مسح كل الرأس بقوله تعالى: ﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾، والرأس حقيقة اسم لجميعه، والبعض مجاز، والأصل في الكلام حمله على الحقيقة، وبحديث عبد الله بن زيد، وفيه: «ومسح رأسه بيده فأقبل بهما وأدبر، بدأ بمقدم رأسه، ثم ذهب بهما إلى قفاه، ثم ردهما إلى المكان الذي بدأ به». [متفق عليه].

والحديث وإن كان حكاية فعل إلا أنه جاء لبيان المجمل في الآية، وبيان المجمل الواجب واجب. [نيل الأوطار للشوكاني ١ / ٢٨٦].

قال الشوكاني: «والإنصاف أن الآية ليست من قبيل المجمل، والحقيقة لا تتوقف على مباشرة آلة الفعل بجميع أجزاء المفعول، كما لا تتوقف في قولك: «ضربت عمرًا» على مباشرة الضرب لجميع أجزائه للكل أو للبعض، وليس النزاع في مسمى الرأس، فيقال: هو حقيقة في جميعه، بل النزاع في إيقاع المسح على الرأس، والمعنى الحقيقي للإيقاع يوجد بوجود المباشرة، ولو كانت المباشرة الحقيقية لا توجد إلا بمباشرة الحال لجميع المحل لقل وجود الحقائق في هذا الباب.

والحاصل أن الوقوع لا يتوقف وجود معناه

الحقيقي على وجود المعنى الحقيقي لما وقع عليه الفعل، وهذا منشأ الاشتباه والاختلاف، فمن نظر إلى جانب ما وقع عليه الفعل جزم بالمجاز، ومن نظر إلى جانب الوقوع جزم بالحقيقة، وبعد هذا فلا شك في أولوية استيعاب المسح لجميع الرأس، وصحة أحاديثه، ولكن دون الجزم بالوجوب مفاوز..». [نيل الأوطار ١ / ١٩٢].

كيفية مسح الرأس

ورد المسح كما ذكرنا دون تفصيل في بعض الأحاديث، ومفصلاً في البعض الآخر، ومنها حديث عبد الله بن زيد المتقدم، وفيه: أن رسول الله ﷺ مسح رأسه بيده، فاقبل بهما وأدبر، بدأ بمقدم رأسه، ثم ذهب بهما إلى قفاه، ثم ردهما إلى المكان الذي بدأ منه... الحديث [متفق عليه].

فهذه الرواية بيّنت أن المسح يبدأ من ناصية الرأس باليدين حتى يصل إلى منتهى الرأس من الخلف وهو القفا، ثم يرجع بهما مرة أخرى إلى الناصية، وتعتبر هذه مسحة واحدة، ولا يعتبر الشعر المسترسل الخارج عن حد الرأس من الرأس؛ فلا يجزئ المسح عليه فقط، حتى عند من يقول بأن الواجب مسح بعض الرأس.

ومنها حديث الرُّبَيِّعِ بِنْتِ مُعَوِّذِ ابْنِ عَفْرَاءَ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَوَضَّأَ عِنْدَهَا؛ فَمَسَحَ الرَّأْسَ كُلَّهُ مِنْ قَرْنِ الشَّعْرِ، كُلَّ نَاحِيَةٍ لِمُنْصَبِّ الشَّعْرِ، لاَ يُحَرِّكُ الشَّعْرَ عَنْ هَيْئَتِهِ» [أبو داود ١٢٨ وحسنه الألباني].

وهذه الرواية جاءت بكيفية أخرى لمسح الرأس، لا يتغير فيها الشعر عن هيئته التي يكون عليها قبل المسح.

هل يسن تكرار مسح الرأس؟

اختُلف في هذه المسألة على قولين:

أحدهما: أنه يستحب مسح الرأس ثلاثًا كسائر الأعضاء، واحتجوا بما رواه أبو داود من حديث عثمان: أن النبي ﷺ مسح رأسه ثلاثًا. [رواه أبو داود ١١٠ وصححه الألباني].

الثاني: أن السنة في مسح الرأس أن تكون مرة واحدة، واحتجوا بالروايات الكثيرة التي ورد فيها ذكر صفة وضوء النبي ﷺ، وفيها إطلاق مسح الرأس مع ذكر تثليث غيره من الأعضاء، أو ذكر مسح الرأس مرة واحدة مع تثليث غيره من الأعضاء.

قال الإمام الشوكاني: «فالإنصاف أن أحاديث الثلاث لم تبلغ درجة الاعتبار حتى يلزم التمسك بها؛ لما فيه من الزيادة، فالوقوف على ما صح من الأحاديث الثابتة في الصحيحين وغيرهما هو المتعين، لاسيما بعد تقييده في تلك الروايات السابقة بالمرة الواحدة، وحديث: «من زاد على هذا فقد أساء وظلم» [أبو داود ١٣٥ وصححه الألباني]. بالمنع من الزيادة على الوضوء الذي قال بعده النبي ﷺ هذه المقالة. [نيل الأوطار: ١ / ٤٣٠].

وقد مال الشيخ الألباني إلى تصحيح رواية التثليث بقوله: «قد صح من حديث عثمان بن عفان أن النبي ﷺ مسح رأسه ثلاثًا». أخرجه أبو داود بسندين حسنين، وله إسناد ثالث حسن أيضًا، وقد تكلمت على هذه الأسانيد بشيء من التفصيل في صحيح أبي داود، وقد صحح الحافظ في الفتح هذه الزيادة، وقال: والزيادة من الثقة مقبولة، ومال ابن الجوزي في كشف المشكل إلى تصحيح التكرير. قلت – أي الألباني –: وهو الحق لأن رواية المرة الواحدة وإن كثرت لا تعارض رواية التثليث؛ إذ الكلام في أنه سنة ومن شأنها أن تُفعل أحيانًا. [تمام المنة: ص١٩١].

وقال الصنعاني: «رواية الترك لا تعارض رواية الفعل، وإن كثرت رواية الترك؛ إذ الكلام في أنه غير واجب بل سنة من شأنها أن تفعل أحيانًا وتترك أحيانًا». [سبل السلام: ١ / ٦٤].

مسألة المسح على العمامة

وردت عدة روايات في بيان مسحه ﷺ على العمامة، منها: حديث عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ يمسح على عمامته وخفيه. [البخاري ٢٠٥].

وحديث بلال رضي الله عنه قال: مسح رسول الله ﷺ على الخفين والخمار. [مسلم ٢٧٥]. والخمار المراد به هنا: العمامة، كما ذكر النووي في شرح مسلم قال: «لأنها تخمر الرأس وتغطيه».

وحديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أن النبي ﷺ توضأ فمسح بناصيته وعلى العمامة وعلى الخفين. [مسلم ٢٧٤].

وإذا كان المسح على العمامة ثابتًا باتفاق أهل العلم؛ فالسؤال: هل يجوز الاقتصار في مسح الرأس على العمامة فقط؟

احتج من قال بجواز الاقتصار على مسح العمامة بحديثي عمرو بن أمية وبلال رضي الله عنهما، وذهب جمهور العلماء إلى عدم جواز الاقتصار على العمامة فقط، وإنما يجب أن يمسح معهما جزءًا من الرأس. قال الترمذي: «وقال غير واحد من أصحاب النبي ﷺ: لا يمسح على العمامة إلا أن يمسح برأسه مع العمامة، واحتجوا بأن الله تعالى فرض المسح على الرأس، والحديث في العمامة محتمل التأويل، فلا يُترك المتيقن بالمحتمل، والمسح على العمامة ليس بمسح على الرأس». [نقله الحافظ عن الخطابي في الفتح ١ / ٣٦٩].

ورد القائلون بالجواز بأن المسح على الشعر يجزئ ولا يسمى رأسًا، فقال الجمهور: يسمى رأسًا مجازًا بعلاقة المجاورة، فرد القائلون بالجواز: والعمامة كذلك بتلك العلاقة، فإنه يقال: قبلت رأس محمد، والتقبيل يكون على العمامة. قال ابن القيم: «إن النبي ﷺ كان يمسح على رأسه تارة، وعلى العمامة تارة، وعلى الناصية».

قال الشوكاني: «الكل صحيح ثابت، فقصر الإجزاء على بعض ما ورد لغير موجب ليس من دأب المنصفين». [نيل الأوطار: ١ / ٤٤٣].

مسألة: هل تمسح المرأة على خمارها؟

قال ابن قدامة: وفي مسح المرأة على مقنعتها روايتان - أي عن الإمام أحمد -: أحدهما: يجوز؛ لأن أم سلمة كانت تمسح على خمارها. ذكره ابن المنذر. وقد صح عن النبي ﷺ أنه أمر بالمسح على الخفين والخمار [أحمد ٢٣٨٩٢ وضعفه الألباني مرفوعًا وصححه موقوفًا على بلال رضي الله عنه]. قال: ولأنه ملبوس معتاد يشق نزعه فأشبه العمامة.

الثانية: لا يجوز المسح عليه، فإن أحمد سُئل: كيف تمسح المرأة على رأسها؟ قال: من تحت الخمار، ولا تمسح على الخمار. [المغني: ١ / ١٨٦].

قال ابن تيمية عن رواية الجواز: وهي أظهر؛ لعموم قوله ﷺ: «امسحوا على الخفين والخمار» [أحمد ٢٣٨٩٢ وضعفه الألباني مرفوعًا وصححه موقوفًا على بلال رضي الله عنه]. والنساء يدخلن في الخطاب المذكور تبعًا للرجال، كما دخلن في المسح على الخفين.

ولأن الرأس يجوز للرجل المسح عليه، فجاز للمرأة كالرجل؛ ولأنه لباس يباح المسح على الرأس لمشقة نزعه غالبًا، فأشبه عمامة الرجل ويشق خلعه أكثر، وحاجته أشد من الخفين. [شرح العمدة ١ / ٢٦٥].

مسح الأذنين

اتفق الأئمة الأربعة أن حكم الأذنين هو المسح كالرأس، ثم اختلفوا بعد ذلك في حكم مسح الأذنين، فذهب الحنفية والمالكية على المشهور والشافعية إلى أن مسح الأذنين ظاهرهما وباطنهما من سنن الوضوء. [الموسوعة الفقهية الكويتية ٤٣ / ٣٦٤].

واحتجوا بحديث المقدام بن معدي كرب، وفيه: «ثم مسح برأسه وأذنيه ظاهرهما وباطنهما، وأدخل أصابعه في صماخ أذنيه». الحديث. [أبو داود ١٢٣ وصححه الألباني]. وهو حكاية فعل، وحكاية الأفعال لا يُستفاد منها الوجوب، وذهب الحنابلة وبعض المالكية إلى أنه يجب مسح الأذنين لأنهما من الرأس؛ لقوله ﷺ: «الأذنان من الرأس» [الترمذي ٣٧ وصححه الألباني. انظر الموسوعة الفقهية ٤٣ / ٣٦٥].

فيكون الأمر بمسح الرأس أمرًا بمسحهما؛ فثبت وجوبه بالنص القرآني، وأجيب بعدم انتهاض الأحاديث الواردة لذلك، والمتيقن الاستحباب فلا يُصار إلى الوجوب إلا بدليل ناهض. [نيل الأوطار ١ / ٢٩٣].

قُلت: وعلى القول بصحة حديث «الأذنان من الرأس» فلا يلزم إلا القائل بوجوب مسح كل الرأس، أما من قال بإجزاء مسح البعض، وهو الأرجح كما بينا آنفًا، فهذا الحديث ليس بحجة؛ لأن مسح بعض رأسه لا يحتاج لمسح الأذنين، حتى إن قلنا: إنهما من الرأس.

كيفية مسح الأذنين

ورد مسح الأذنين مجملاً ومفصلاً في أحاديث عدة، نذكر منها ما كان على جهة التفصيل؛ لأنه محل الاستدلال:

١- حديث الربيع بنت معوذ رضي الله عنها، وفيه: «مسح برأسه مرتين بدأ بمؤخره، ثم بمقدمه وبأذنيه كلتيهما ظهورهما وبطونهما». [أبو داود ١٢٦ وحسنه الألباني].

٢- حديث المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه، وفيه: «ثم مسح برأسه وأذنيه ظاهرهما وباطنهما». [أبو داود ١٢١ وصححه الألباني]. وفي رواية أبي داود: «وأدخل أصبعيه في صماخي أذنيه». [البيهقي في السنن الكبرى ٣١٠].

٣- حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ مسح داخلهما بالسبابتين وخالف إبهاميه إلى ظاهرهما فمسح ظاهرهما وباطنهما. [ابن ماجه ٤٣٩ وصححه الألباني].

فعلى هذا إذا مسح المتوضئ رأسه أتبعه بمسح الأذنين؛ فيضع إصبعيه في صماخي الأذنين، والصماخ هو الثقب الذي تدخل فيه رأس الأصبع من الأذن، ثم يمسح باطن الأذن، وهو ما يلي الوجه بالسبابة، وظاهر الأذن، وهو ما يلي الرأس، بالإبهام.

غسل الرجلين

اتفق علماء المذاهب الأربعة وغيرهم على وجوب غسل الرجلين؛ لقوله تعالى: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦]، وللأحاديث التي وردت في صفة وضوئه ﷺ، وكلها فيها غسل الرجلين.

قال الإمام النووي: ذهب جميع الفقهاء من أهل الفتوى في الأعصار والأمصار إلى أن الواجب غسل القدمين مع الكعبين، ولا يجزئ مسحهما، ولم يثبت خلاف هذا عن أحد يُعتد به في الإجماع.

كيفية غسل الرجلين

الفرض أن تُغسل الرجلان إلى الكعبين، والكعبان داخلان فيهما، والسنة أن يبدأ بالرجل اليمنى لما سبق من حديث عائشة رضي الله عنها، ويبدأ الغسل من الأصابع، وينتهي بغسل الكعبين، ويُسن

التخليل بين أصابع القدمين، كما في اليدين، وإن لم يصل الماء إلى بعض الأصابع إلا بتخليلها كان واجبًا؛ لأن الفرض استيعاب القدم؛ لما ثبت من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ رأى رجلاً لم يغسل عقبه فقال: «ويل للأعقاب من النار». [متفق عليه].

الترتيب

ذهب الشافعي وأحمد إلى وجوب الترتيب في الوضوء؛ لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦]. قال ابن قدامة: فالآية تدل على أنه أُريد بها الترتيب؛ فإنه أدخل ممسوحًا بين مغسولين، والعرب لا تقطع النظير عن نظيره إلا لفائدة، ولا فائدة هنا إلا الترتيب.

فإن قيل: فائدته استحباب الترتيب. قلنا: الآية ما سيقت إلا لبيان الواجب، ولهذا لم يذكر فيها شيء من السنن؛ ولأنه متى اقتضى اللفظ الترتيب كان مأمورًا به، والأمر يقتضي الوجوب، ولأن كل من حكى وضوء النبي ﷺ حكاه مرتبًا، وهو مفسِّر لما في كتاب الله، وذهب أبو حنيفة ومالك إلى عدم وجوب الترتيب بأن الواو في الآية لا تقتضي الترتيب، وبما صح عن المقدام بن معدي كرب قال: أتى رسول الله ﷺ بوضوء فتوضأ فغسل كفيه ثلاثًا، وغسل وجهه ثلاثًا، ثم غسل ذراعيه ثلاثًا، ثم مضمض واستنشق ثلاثًا ثلاثًا، ثم مسح برأسه وأذنيه ظاهرهما وباطنهما. [أحمد ١٧١٨٨ وصححه الألباني].

فجاء في الحديث بالمضمضة والاستنشاق بعد غسل اليدين، فدل ذلك على أن الترتيب غير واجب في الوضوء.

الموالاة

ذهب أبو حنيفة والشافعي في الجديد ورواية عن أحمد إلى عدم وجوب الموالاة، واحتجوا بآية الوضوء، وأن المأمور به غسل الأعضاء، فكيفما غسل جاز.

وهو فعل ابن عمر رضي الله عنهما، فعن نافع: أن ابن عمر توضأ في السوق، فغسل يديه ووجهه وذراعيه ثلاثًا ثلاثًا، ثم دخل المسجد فمسح على خُفيه بعد ما جفّ وضوؤه وصلى. [البيهقي في السنن الكبرى ١ / ٨٤].

قال الشافعي: «وبينهما تفريق كثير، وقد صح عن ابن عمر التفريق، ولم ينكر عليه أحد. [مغني المحتاج للشربيني ١ / ٢٨٠].

وذهب أحمد في ظاهر المذهب والمالكية إلى وجوب الموالاة؛ لما روى خالد بن معدان عن بعض أزواج النبي ﷺ أنه رأى رجلاً في ظهر قدمه لمعة كقدر الدرهم لم يصبها الماء، فأمره رسول الله ﷺ أن يعيد الوضوء والصلاة. [أبو داود ١٧٥ وصححه الألباني]. ولو لم تجب الموالاة لأجزأه غسل اللمعة. [المغني لابن قدامة ١ / ٢٣٩].

وبهذا ينتهي ما تيسر جمعه فيما يتعلق بصفة وضوء النبي ﷺ، ونسأل الله عز وجل التوفيق والقبول؛ فهو نعم المولى ونعم النصير، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تهنئة

الإمام الشيخ محمد حامد الفقي - رحمه الله - في ميزان البحث العلمي

تم بحمد الله تعالى مناقشة رسالة الماجستير المقدمة من الشيخ عاطف التاجوري، بقسم الشريعة بكلية دار العلوم، جامعة القاهرة، وموضوعها: جهود الشيخ محمد حامد الفقي وتلاميذه في التفسير.

وقد تكونت لجنة المناقشة من:

- الأستاذ الدكتور/ محمد نبيل غنايم، مشرفًا.
- الأستاذ الدكتور/ أحمد يوسف سليمان، مناقشًا.
- الأستاذ الدكتور/ محمد علي جابر، مناقشًا.

وبعد المناقشة تداولت اللجنة، وقررت منح الباحث درجة الماجستير في الشريعة الإسلامية بتقدير (جيد جدًا).

وهذه الرسالة تعتبر الرسالة الثانية عن الشيخ محمد حامد الفقي؛ حيث سبق أن حصل الباحث موفق عبد الله كدسة على درجة الماجستير من جامعة أم القرى، وكان موضوع رسالته الشيخ محمد حامد الفقي وجهوده في نشر عقيدة السلف.

وجماعة أنصار السنة المحمدية بصفة عامة، وأسرة مجلة التوحيد واللجنة العلمية بها ورئيس التحرير بصفة خاصة، يتقدمون إلى الباحث «المهندس عاطف التاجوري» بالتهنئة القلبية، متمنين له المزيد من التوفيق والسداد، والسمو والرشاد، والله من وراء القصد.



مشروع تيسير حفظ السنة
من صحيح الأحاديث القصار

إعداد/ علي حشيش

٢٢٨٥- عن الْحَجَّاجِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ كُسِرَ أَوْ عَرِجَ فَقَدْ حَلَّ، وَعَلَيْهِ حَجَّةٌ أُخْرَى» فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لأَبِي هُرَيْرَةَ وَابْنِ عَبَّاسٍ فَقَالاَ صَدَقَ. جه (٣٠٧٧)، حم (١٥٣٠٤)، د(١٨٦٢)، ت(٩٤٠)، وهذا حديث صحيح.

٢٢٨٦- عن حُذَيْفَةَ بن اليمان رضي الله عنهما قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ هَذَا الْحَيَّ مِنْ مُضَرَ لاَ تَدَعُ لِلَّهِ فِي الأَرْضِ عَبْدًا صَالِحًا إِلاَّ فَتَنَتْهُ، وَأَهْلَكَتْهُ حَتَّى يُدْرِكَهَا اللَّهُ بِجُنُودٍ مِنْ عِبَادِهِ فَيُذِلَّهَا حَتَّى لاَ تَمْنَعَ ذَنَبَ تَلْعَةٍ». حم (٢٢٨٠٤)، وهذا حديث صحيح.

٢٢٨٧- عن حُذَيْفَةَ بن اليمان رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَنَامَ وَضَعَ يَدَهُ تَحْتَ رَأْسِهِ، ثُمَّ قال: «اللَّهُمَّ قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَجْمَعُ أو تَبْعَثُ عِبَادَكَ». ت(٣٣٩٨)، وهذا حديث صحيح.

٢٢٨٨- عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ ذُكِرَ الدَّجَّالُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «لأَنَا لَفِتْنَةُ بَعْضِكُمْ أَخْوَفُ عِنْدِي مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ، وَلَنْ يَنْجُوَ أَحَدٌ مِمَّا قَبْلَهَا إِلاَّ نَجَا مِنْهَا، وَمَا صُنِعَتْ فِتْنَةٌ مُنْذُ كَانَتْ الدُّنْيَا صَغِيرَةٌ وَلاَ كَبِيرَةٌ إِلاَّ لِفِتْنَةِ الدَّجَّالِ». حم (٢٢٧٩٢)، وهذا حديث صحيح.

٢٢٨٩- عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «دَعْ مَا يُرِيبك إِلَى مَا لاَ يُرِيبك، فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ ,وَالْكَذِبُ رِيبَةٌ». ت(٢٥١٨)، حم (٢٧٩٣٩، ٢٧٨١٩)، وهذا حديث صحيح.

٢٢٩٠- عن الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رضي الله عنهما عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ فِي الْوِتْرِ -قَالَ ابْنُ جَوَّاسٍ فِي قُنُوتِ الْوِتْرِ- «اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ، وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ إِنَّكَ تَقْضِي وَلاَ يُقْضَى عَلَيْكَ، وَإِنَّهُ لاَ يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ، وَلاَ يَعِزُّ مَنْ عَادَيْتَ تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ». د(١٤٢٥)، حم (٢٧٨٢٠، ١٧٢٠)، ت(٤٦٤)، جه (١١٧٨)، وهذا حديث صحيح.

٢٢٩١- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه عَنْ عُمَرَ رضي الله عنه أَنَّهُ سَأَلَ عَنْ قَضِيَّةِ النبي ﷺ فِي ذَلِكَ فَقَامَ إِلَيْهِ حَمَلُ بْنُ مَالِكِ بْنِ النَّابِغَةِ؛ فَقَالَ: كُنْتُ بَيْنَ امْرَأَتَيْنِ فَضَرَبَتْ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى بِمِسْطَحٍ فَقَتَلَتْهَا وَجَنِينَهَا؛ فَقَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي جَنِينِهَا بِغُرَّةٍ وَأَنْ تُقْتَلَ. ن(٤٧٤٣)، د(٤٥٧٢)، حب (٦٠٢١)، وهذا حديث صحيح.

٢٢٩٢- عن خَالِدِ بْنِ الْعَدَّاءِ بْنِ هَوْذَةَ رضي الله عنه قَالَ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ النَّاسَ يَوْمَ عَرَفَةَ عَلَى بَعِيرٍ قَائِمٌ فِي الرِّكَابَيْنِ. د(١٩١٧)، وهذا حديث صحيح.

٢٢٩٣- عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ كُنْتُ جَالِسًا وَسُلَيْمَانُ بْنُ صُرَدٍ وَخَالِدُ بْنُ عُرْفُطَةَ فَذَكَرُوا أَنَّ رَجُلاً تُوُفِّيَ مَاتَ بِبَطْنِهِ فَإِذَا هُمَا يَشْتَهِيَانِ أَنْ يَكُونَا شُهَدَاءَ جَنَازَتِهِ؛ فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِلآخَرِ أَلَمْ يَقُلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ يَقْتُلْهُ بَطْنُهُ فَلَنْ يُعَذَّبَ فِي قَبْرِهِ»؟ فَقَالَ الآخَرُ: بَلَى. ن (٢٠٥٤)، وهذا حديث صحيح.

٢٢٩٤- عَنْ خَالِدِ بْنِ عَدِيٍّ الْجُهَنِيِّ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ بَلَغَهُ مَعْرُوفٌ عَنْ أَخِيهِ مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ وَلاَ إِشْرَافِ نَفْسٍ فَلْيَقْبَلْهُ وَلاَ يَرُدَّهُ فَإِنَّمَا هُوَ رِزْقٌ سَاقَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ». حم (١٧٤٧٧)، حب (٥١٠٨، ٣٤٠٤)، وهذا حديث صحيح.

٢٢٩٥- عَنْ خَالِدِ بْنِ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رضي الله عنه قَالَ: تَنَاوَلَ أَبُو عُبَيْدَةَ رضي الله عنه رَجُلاً بِشَيْءٍ، فَنَهَاهُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ رضي الله عنه، فَقَالَ: أَغْضَبْتَ الأَمِيرَ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنِّي لَمْ أُرِدْ أَنْ أُغْضِبَكَ، وَلَكِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا لِلنَّاسِ فِي الدُّنْيَا». حم (١٦٣٧٨)، ت (٣٣٧٩)، وهذا حديث صحيح.

٢٢٩٦- عن ديلم رضي الله عنه أَنَّهُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: إِنَّا بِأَرْضٍ بَارِدَةٍ وَإِنَّا لَنَسْتَعِينُ بِشَرَابٍ يُصْنَعُ لَنَا مِنْ الْقَمْحِ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَيُسْكِرُ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَلاَ تَشْرَبُوهُ، فَأَعَادَ عَلَيْهِ الثَّانِيَةَ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ

ﷺ: أَيُسْكِرُ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَلاَ تَشْرَبُوهُ. قَالَ: فَأَعَادَ عَلَيْهِ الثَّالِثَةَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَيُسْكِرُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَلاَ تَشْرَبُوهُ. قَالَ: فَإِنَّهُمْ لاَ يَصْبِرُونَ عَنْهُ قَالَ: فَإِنْ لَمْ يَصْبِرُوا عَنْهُ فَاقْتُلُوهُمْ. حم (١٧٥٧٣)، وهذا حديث صحيح.

٢٢٩٧- عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «أَلِظُّوا بِيَا ذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ». حم (١٧١٤٣)، وهذا حديث صحيح.

٢٢٩٨- عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَنَزَلْنَا مَنْزِلاً، فَقَالَ مَا أَنْتُمْ جُزْءٌ مِنْ مِائَةِ أَلْفِ جُزْءٍ مِمَّنْ يَرِدُ عَلَيَّ الْحَوْضَ. قَالَ: قُلْتُ كَمْ كُنْتُمْ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ سَبْعُ مِائَةٍ أَوْ ثَمَانِ مِائَةٍ. د(٤٧٤٦)، وهذا حديث صحيح.

٢٢٩٩- عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رضي الله عنه قَالَ: لَقَدْ كُنَّا نَقْرَأُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَوْ كَانَ لابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ لاَبْتَغَى إِلَيْهِمَا آخَرَ وَلاَ يَمْلأُ بَطْنَ ابْنِ آدَمَ إِلاَّ التُّرَابُ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ. حم (١٨٧٩٣)، وهذا حديث صحيح.

٢٣٠٠- عَنْ أَبِي سَرِيحَةَ أَوْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ كُنْتُ مَوْلاَهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاَهُ». ت(٣٧١٣) هذا حدث صحيح.

٢٣٠١- عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ لَمْ يَأْخُذْ مِنْ شَارِبِهِ فَلَيْسَ مِنَّا». ت(٢٧٦١)، حم (١٨٧٨٦، ١٨٧٧٧)، وهذا حديث صحيح.

٢٣٠٢- عَنْ عَلِيِّ بْنِ رَبِيعَةَ قَالَ لَقِيتُ زَيْدَ بْنَ أَرْقَمَ رضي الله عنه وَهُوَ دَاخِلٌ عَلَى الْمُخْتَارِ أَوْ خَارِجٌ مِنْ عِنْدِهِ فَقُلْتُ لَهُ أَسَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ»؟ قَالَ: نَعَمْ. حم (١٨٨٢٥)، وهذا حديث صحيح.

٢٣٠٣- عن زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رضي الله عنه قَالَ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تُحْسِنُ السُّرْيَانِيَّةَ إِنَّهَا تَأْتِينِي كُتُبٌ». قَالَ: قُلْتُ لاَ قَالَ فَتَعَلَّمْهَا فَتَعَلَّمْتُهَا فِي سَبْعَةَ عَشَرَ يَوْمًا. حم (٢١٠٦٧)، حب (٧١٣٦)، وهذا حديث صحيح.

٢٣٠٤- عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لاَ تَسُبُّوا الدِّيكَ؛ فَإِنَّهُ يَدْعُو إِلَى الصَّلاَةِ. قَالَ أَبِي قَالَ أَبُو النَّضْرِ: نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ سَبِّ الدِّيكِ، وَقَالَ: إِنَّهُ يُؤَذِّنُ بِالصَّلاَةِ. حم (٢١١٧٠)، د(٥١٠١)، حب (٥٧٣١)، وهذا حديث صحيح.

٢٣٠٥- عَنِ السَّائِبِ بْنِ خَلاَّدٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَخَافَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ ظُلْمًا أَخَافَهُ اللَّهُ، وَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لاَ يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفًا وَلاَ عَدْلاً». حم (١٦١٢٤، ١٦١٢٧)، وهذا حديث صحيح.

٢٣٠٦- عَنِ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ رضي الله عنه أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ يَا عَائِشَةُ أَتَعْرِفِينَ هَذِهِ؟ قَالَتْ: لاَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ، فَقَالَ: هَذِهِ قَيْنَةُ بَنِي فُلاَنٍ تُحِبِّينَ أَنْ تُغَنِّيَكِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ فَأَعْطَاهَا طَبَقًا فَغَنَّتْهَا؛ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: قَدْ نَفَخَ الشَّيْطَانُ فِي مَنْخِرَيْهَا. حم (١٥٢٩٣)، وهذا حديث صحيح.

٢٣٠٧- عن سَبْرَةَ بنْ معبد رضي الله عنه قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى إِذَا كَانَ بِعُسْفَانَ قَالَ لَهُ سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكٍ الْمُدْلِجِيُّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اقْضِ لَنَا قَضَاءَ قَوْمٍ كَأَنَّمَا وُلِدُوا الْيَوْمَ. فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَدْخَلَ عَلَيْكُمْ فِي حَجِّكُمْ هَذَا عُمْرَةً؛ فَإِذَا قَدِمْتُمْ فَمَنْ تَطَوَّفَ بِالْبَيْتِ وَبَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ فَقَدْ حَلَّ إِلاَّ مَنْ كَانَ مَعَهُ هَدْيٌ». د (١٨٠١)، دي (١٨٥٧)، وهذا حديث صحيح.

٢٣٠٨- عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ». قال وكيع: يعني: يستغني به. حم (١٥٥٢، ١٥١٥)، د(١٤٦٩)، دي (٣٤٨٨، ١٤٩٠)، حب (١٢٠)، وهذا حديث صحيح.

٢٣٠٩- عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَرْبَعٌ مِنَ السَّعَادَةِ: الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ، وَالْمَسْكَنُ الْوَاسِعُ، وَالْجَارُ الصَّالِحُ، وَالْمَرْكَبُ الْهَنِيءُ. وَأَرْبَعٌ مِنَ الشَّقَاوَةِ: الْجَارُ السُّوءُ، وَالْمَرْأَةُ السُّوءُ، وَالْمَسْكَنُ الضَّيِّقُ، وَالْمَرْكَبُ السُّوءُ». حب (٤٠٣٢)، وهذا حديث صحيح.

٢٣١٠- عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «دَعْوَةُ ذِي النُّونِ الَّتِي دَعَا بِهَا فِي بَطْنِ الْحُوتِ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، لَمْ يَدْعُ بِهَا مُسْلِمٌ فِي كُرْبَةٍ إِلاَّ اسْتَجَابَ اللهُ لَهُ». ك(١ / ٥٠، ٢ / ٣٨، ٢ / ٥٨)، حم(١٤٦٥)، ت(٣٥٠٥)، وهذا حديث صحيح.

٢٣١١- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدٌ إِلاَّ الْحَمَّامَ وَالْمَقْبَرَةَ». د(٤٩٢)، حم (١١٥٠٩، ١١٣٧٩)، ت(٣١٧)، جه (٧٤٥)، حب (٢٣٢١، ٢٣١٦، ١٦٩٩)، وهذا حديث صحيح.



الإيثار

إعداد/ صلاح نجيب الدق

الْحَمْدُ للهِ، والصلاة والسلام على نبينا محمدٍ، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فإن الإيثار من الأخلاق الحميدة التي حثنا عليها الإسلام، وهو من الأخلاق الضائعة بين كثير من المسلمين اليوم. من أجل ذلك أحببت أن أُذَكِّر به نفسي وإخواني الكرام، فأقول وبالله تعالى التوفيق:

معنى الإيثار

الإيثار في اللغة: التفضيل والتقديم.

قال اللهُ تعالى: ﴿لَقَدْ آثَرَكَ اللهُ عَلَيْنَا﴾ [يوسف: ٩١] أي: لقد فضلك الله علينا، واختارك بالعلْمِ والحِلْمِ والحُكْمِ، والعقل، والملك. [لسان العرب ١ / ٢٦].

الإيثار في الشرع: هو تقديم الغير على النفْسِ وحظوظها الدنيوية؛ رغبةً في الحظوظ الدينية.

وذلك ينشأ عن قوة اليقين، وتوكيد المحبة، والصبر على المشقة. يُقال: آثرته بكذا، أي خصصته به وفضلته. [تفسير القرطبي ١٨ / ٢٨].

الفرق بين السخاء والجود والإيثار

أولاً: السخاء:

أن لا يصعب على الإنسان البذل مما يملكه، ولا ينقصه ذلك.

ثانيًا: الجود:

أن يعطي الإنسان كثيرًا مما يملك، ويبقي لنفسه شيئًا قليلاً، أو يبقي مثل ما أعطى.

ثالثًا: الإيثار:

أن يؤثر الإنسان غيره بالشيء مع حاجته إليه.

الفرق بين الإيثار والأثرة

الأثرة عكس الإيثار؛ لأن الأثرة تعني استئثار المرء عن أخيه بما هو محتاج إليه. [مدارج السالكين لابن القيم ٢ / ٣٠٣-٣٠٤].

الإيثار وصية رب العالمين

قال الله تعالى في محكم التنزيل: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. [الحشر: ٩].

أسباب نزول هذه الآية:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَصَابَنِي الْجَهْدُ، فَأَرْسَلَ إِلَى نِسَائِهِ؛ فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُنَّ شَيْئًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَلا رَجُلٌ يُضَيِّفُهُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ يَرْحَمُهُ اللَّهُ؟ فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ الأَنْصَارِ فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ، فَقَالَ لامْرَأَتِهِ: ضَيْفُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لاَ تَدَّخِرِيهِ شَيْئًا. قَالَتْ: وَاللَّهِ مَا عِنْدِي إِلاَّ قُوتُ الصِّبْيَةِ. قَالَ: فَإِذَا أَرَادَ الصِّبْيَةُ الْعَشَاءَ فَنَوِّمِيهِمْ، وَتَعَالَيْ فَأَطْفِئِي السِّرَاجَ، وَنَطْوِي بُطُونَنَا اللَّيْلَةَ فَفَعَلَتْ، ثُمَّ غَدَا الرَّجُلُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: لَقَدْ عَجِبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَوْ ضَحِكَ مِنْ فُلاَنٍ وَفُلاَنَةَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾» [البخاري ٤٨٨٩].

درجات الإيثار

الإيثار على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى:

أن تؤثرَ الخَلْقَ على نفسكَ فيما لا يَخْرِمُ عليك دينًا، ولا يقطع عليك طريقًا، ولا يُفسدُ عليك وقتًا.

بمعنى أن تقدمهم على نفْسكَ في مصالحهم، مثل أن تطعمهم وتجوع، وتكسوهم وتَعْرى، وتسقيهم وتظمأ، بحيث لا يؤدي ذلك إلى ارتكاب إتلاف لا يجوز في الدين، مثل أن تؤثرهم بمالك وتجلس كَلاً مضطراً مستشرفًا للناس أو سائلاً.

وكل سببٍ يعود عليك بصلاح قلبك ووقتك وحالك مع الله، فلا تؤثر به أحدًا، فإن آثرت به فإنما تؤثر الشيطان على الله، وأنت لا تعلم.

الدرجة الثانية:

إيثار رضا الله تعالى على رضا غيره، وإن عظمت فيه المحن، وثقلت فيه المُؤَنُ وضعف عنه

الطولُ والبدن.
بمعنى أن العبدَ يريدُ ويفعلُ ما فيه مرضاة الله تعالى، ولو أغضب الخَلْق، وهي درجة الأنبياء، وأعلاها للرسل صلوات الله وسلامه عليهم، وأعلاها لأولي العزم منهم، وأعلاها لنبينا محمد ﷺ، فإنه قاوم العالم كله، وتجرد لله بالدعوة إلى الله، واحتمل عداوة البعيد والقريب في الله تعالى، وآثر رضا الله على رضا الخلق، من كل وجه، ولم يأخذه في إيثار رضا الله لوْمَة لائم، بل كان همه وعزمه وسعيه كله مقصوراً على إيثار مرضاة الله وتبليغ رسالاته، وإعلاء كلماته، وجهاد أعدائه حتى ظهر دين الله على كل دين، وقامت حُجَّتُهُ على العالمين، وتمت نعمته على المؤمنين، فبلَّغَ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده وعَبدَ الله حتى أتاه اليقينُ من ربه فلم ينْل أحدٌ من درجة هذا الإيثار ما نال صلوات الله وسلامه عليه.
[مدارج السالكين لابن القيم ٢ / ٣٠٩-٣١٢].

الدرجة الثالثة:
أن تنسب إيثارك إلى الله دون نفسك، وأنه هو الذي تفرد بالإيثار، لا أنت، فكأنك سلمت الإيثار إليه، فإذا آثرت غيرك بشيء فإن الذي آثره هو الحق، لا أنت، فهو المؤثر حقيقة؛ إذ هو المعطي حقيقةً. [مدارج السالكين لابن القيم ٢ / ٣١٥].

الأسباب التي تعين على الإيثار

هناك أسباب يمكن أن تعين المسلم على الإيثار، يمكن إجمالها في ثلاثة أسباب كما يلي:

١ - تعظيم الحقوق:
إذا عظمت الحقوق عند المسلم، وقام بواجبها ورعاها حق رعايتها واستعظم إضاعتها، وعلم أنه إن لم يبلغ درجة الإيثار لم يؤدها كما ينبغي، حرص على تطبيق خُلُقِ الإيثار في حياته.

٢ - مقت الشُّح:
إذا مقت المسلم الشح، والتزم الإيثار، فإنه يرى أنه لا خلاص له من هذا المقت البغيض إلا بالإيثار.

٣ - الرغبة في مكارم الأخلاق:
بحسب رغبة المسلم في مكارم الأخلاق يكون إيثاره؛ لأن الإيثار أفضل درجات مكارم الأخلاق.
[مدارج السالكين لابن القيم ٢ / ٣١١].

فوائد الإيثار

يمكن أن نوجز فوائد الإيثار فيما يلي:
١) الإيثار دليلُ كمال الإيمان وحسن الإسلام.
٢) الإيثار طريقٌ موصل إلى محبة الله ورضوانه.
٣) الإيثار سبيلُ الألفة والمودة بين المسلمين.
٤) الإيثار دليل سخاء النفس البشرية.
٥) الإيثار مظهر من مظاهر حسن الظن بالله تعالى.
٦) الإيثار دليل علو الهمة والبعد عن صفة الأنانية.
٧) الإيثار يجلب البَركة ويُنَمي الخير.
٨) الإيثار طريق موصل إلى الفلاح؛ لأنه يقي الإنسان من داء الشُّح.
٩) الإيثار من علامات حُسن الخاتمة للعبد المسلم.
١٠) الإيثار من علامات الرحمة التي تضمن لصاحبها بفضل الله تعالى الجنة وتعتقه من النار.
[موسوعة نضرة النعيم ٣ / ٦٤٠].

إيثار نبينا محمد ﷺ

إن نبينا محمداً ﷺ هو المثل الأعلى، والقدوة الحسنة لكل مسلم، يريد أن يصل إلى كمال الأخلاق.
قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١].
لقد ضرب لنا النبي ﷺ أرفع الأمثلة في الإيثار.
فعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَتْ امْرَأَةٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِبُرْدَةٍ -فَقَالَ سَهْلٌ لِلْقَوْمِ: أَتَدْرُونَ مَا الْبُرْدَةُ؟ فَقَالَ الْقَوْمُ: هِيَ الشَّمْلَةُ. فَقَالَ سَهْلٌ: هِيَ شَمْلَةٌ مَنْسُوجَةٌ فِيهَا حَاشِيَتُهَا- فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَكْسُوكَ هَذِهِ. فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ ﷺ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا فَلَبِسَهَا، فَرَآهَا عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ الصَّحَابَةِ؛ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَحْسَنَ هَذِهِ فَاكْسُنِيهَا. فَقَالَ: نَعَمْ، فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ ﷺ لَامَهُ أَصْحَابُهُ، قَالُوا: مَا أَحْسَنْتَ حِينَ رَأَيْتَ النَّبِيَّ ﷺ أَخَذَهَا مُحْتَاجًا إِلَيْهَا ثُمَّ سَأَلْتَهُ إِيَّاهَا، وَقَدْ عَرَفْتَ أَنَّهُ لَا يُسْأَلُ شَيْئًا فَيَمْنَعَهُ. فَقَالَ: رَجَوْتُ بَرَكَتَهَا حِينَ لَبِسَهَا النَّبِيُّ ﷺ لَعَلِّي أُكَفَّنُ فِيهَا.
[البخاري ٦٠٣٦].

صور من إيثار الصحابة

١- أبو بكر الصديق رضي اللهُ عنه:
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا نَفَعَنِي مَالٌ قَطُّ مَا نَفَعَنِي مَالُ أَبِي بَكْرٍ. فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ، وَقَالَ: هَلْ أَنَا وَمَالِي إِلَّا لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ». [أحمد ٢ / ٢٥٣ وصححه الألباني].

٢- أبو طلحة الأنصاري رضي اللهُ عنه:
عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ أَنْصَارِيٍّ بِالْمَدِينَةِ مَالًا مِنْ نَخْلٍ وَكَانَ أَحَبُّ مَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرُحَاءَ [حديقة]. وَكَانَتْ مُسْتَقْبِلَ الْمَسْجِدِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ.

قَالَ أَنَسٌ: فَلَمَّا نَزَلَتْ ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ قَامَ أَبُو طَلْحَةَ، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، وَإِنَّ أَحَبَّ مَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءَ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ؛ فَضَعْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ حَيْثُ أَرَاكَ اللَّهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: بَخٍ ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، أَوْ رَايِحٌ شَكَّ عَبْدُ اللَّهِ، وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الْأَقْرَبِينَ. فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَفِي بَنِي عَمِّهِ. [البخاري ١٤٦١، ومسلم ٩٩٨].

٣- إيثار نادر الوجود:

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قَدِمَ عَلَيْنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ وَآخَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ، وَكَانَ كَثِيرَ الْمَالِ؛ فَقَالَ سَعْدٌ: قَدْ عَلِمَتْ الْأَنْصَارُ أَنِّي مِنْ أَكْثَرِهَا مَالاً، سَأَقْسِمُ مَالِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ شَطْرَيْنِ، وَلِي امْرَأَتَانِ فَانْظُرْ أَعْجَبَهُمَا إِلَيْكَ فَأُطَلِّقُهَا حَتَّى إِذَا حَلَّتْ تَزَوَّجْتَهَا. فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ. [البخاري ٣٧٨١].

٤- إيثار الأشعريين رضي اللهُ عنهم:

عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِنَّ الْأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الْغَزْوِ [أي فني طعامهم]. أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ». [البخاري ٢٤٨٦، ومسلم ٢٥٠٠].

انظر أخي الكريم: كيف كان أصحابُ النَّبِيِّ ﷺ يؤْثِرَ أحدهم أخاه على نفسه، حتى ولو كان الطعام قليلاً !!

٥- عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

عن عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ الْأَوْدِيِّ قَالَ: رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ اذْهَبْ إِلَى أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ فَقُلْ يَقْرَأُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَلَيْكِ السَّلَامَ، ثُمَّ سَلْهَا أَنْ أُدْفَنَ مَعَ صَاحِبَيَّ، قَالَتْ: كُنْتُ أُرِيدُهُ لِنَفْسِي فَلَأُوثِرَنَّهُ الْيَوْمَ عَلَى نَفْسِي. [البخاري ١٣٩٢].

وقال الإمام مَالِكُ بن أنس: إِنَّهُ بَلَغَهُ عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ مِسْكِينًا سَأَلَهَا، وَهِيَ صَائِمَةٌ، وَلَيْسَ فِي بَيْتِهَا إِلَّا رَغِيفٌ؛ فَقَالَتْ لِمَوْلَاةٍ لَهَا أَعْطِيهِ إِيَّاهُ. فَقَالَتْ: لَيْسَ لَكِ مَا تُفْطِرِينَ عَلَيْهِ. فَقَالَتْ: أَعْطِيهِ إِيَّاهُ، قَالَتْ فَفَعَلْتُ. قَالَتْ: فَلَمَّا أَمْسَيْنَا أَهْدَى لَنَا أَهْلُ بَيْتٍ أَوْ إِنْسَانٌ مَا كَانَ يُهْدِي لَنَا شَاةً وَكَفَنَهَا فَدَعَتْنِي عَائِشَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَتْ: كُلِي مِنْ هَذَا، هَذَا خَيْرٌ مِنْ قُرْصِكِ. [موطأ مالك - كتاب الصدقة - حديث ٥].

٦- عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي اللهُ عنهما:

روى النسائي عن نافع أن عبد الله بن عمر اشتكى واشتهى عنبًا، فاشتُري له عنقود بدرهم، فجاء مسكين فسأل، فقال: أعطوه إياه، فخالف إنسان فاشتراه بدرهم، ثم جاء به إلى ابن عمر، فجاء المسكين فسأل، فقال: أعطوه إياه، ثم خالف إنسان فاشتراه بدرهم، ثم جاء به إليه، فأراد السائل أن يرجع فمنع ,ولو علَم ابنُ عمر أنه ذلك العنقود ما ذاقه؛ لأن ما خرج لله لا يعود فيه. [الاستذكار لابن عبد البر ٢٧ رقم ٤١٦٥٢].

٧- البراء بن مالك رضي اللهُ عنه:

لما ذهب خالد بن الوليد رضي الله عنه على رأس جيش لأبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى اليمامة لمحاربة المرتدين والقضاء على مسيلمة الكذاب، الذي ادعى النبوة، ألجأ المسلمون المرتدين إلى حديقة الموت -وذلك لكثرة من قُتل فيها من المرتدين- وحاصرهم المسلمون فيها ووجدوا منهم مقاومة وغدرًا، فطلب البراء بن مالك من أصحابه أن يحتملوه على ترس، على أسنة رماحهم، ويلقوه في الحديقة، فاقتحم إليهم، وشدَّ عليهم، وقاتل حتى افتتح لأصحابه باب الحديقة؛ فجُرح يومئذ بضعة وثمانين جرحًا، ولذلك أقام خالد بن الوليد عليه شهرًا يداوي جراحه. [سير أعلام النبلاء للذهبي ١ / ١٩٦].

٨- إخوة بعضهم من بعض:

عن مالك الداراني: أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أخذ أربعمائة دينار فجعلها في صرة، فقال للغلام: اذهب بها إلى أبي عبيدة بن الجراح، ثم تلبث ساعة في البيت حتى تنظر ما يصنع؟ فذهب بها الغلام، فقال: يقول لك أمير المؤمنين: اجعل هذه في بعض حاجتك، فقال: وصلَه الله ورحمه، ثم قال: تعالي يا جارية اذهبي بهذه السبعة إلى فلان، وبهذه الخمسة إلى فلان، وبهذه الخمسة إلى فلان، حتى أنفدها.

فرجع الغلام إلى عمر رضي الله تعالى عنه وأخبره، فوجده قد أعد مثلها لمعاذ بن جبل، فقال: اذهب بها إلى معاذ، وتلَهَّ في البيت ساعة حتى تنظر ما يصنع؟ فذهب بها إليه، فقال: يقول لك أمير المؤمنين اجعل هذه في بعض حاجتك، فقال: رحمه الله ووصله. تعالي يا جارية اذهبي إلى بيت فلان بكذا، اذهبي إلى بيت فلان بكذا، فاطلعت امرأة معاذ، فقالت: ونحن والله مساكين فأعطنا ولم يبق في الخرقة إلا ديناران فدفع بهما إليها، ورجع الغلام إلى عمر فأخبره فسرَّ بذلك، وقال: إنهم إخوة بعضهم من بعض. [حلية الأولياء لأبي نعيم ١ / ٢٣٧].

والحمد لله رب العالمين.



الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فقد تحدثنا في العدد الماضي عن ما يجوز التداوي به وما لا يجوز، وبينا أن النبي ﷺ نهى عن الدواء الخبيث: «... ولا تداووا بحرام»، وبيّنا أن أنجع دواء وأنفعه هو ما بيّنه ﷺ، وهو الاستشفاء بالقرآن الكريم والدعاء. ونكمل ما يتعلق بذلك؛ فنقول وبالله تعالى التوفيق:

إعداد/ سعيد عامر

أمين عام لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

٣- الاستشفاء بالماديات

لله عز وجل في خلقه شئون، وقد شاء سبحانه أن يودع في الأسباب صلاحية إيجاد المسببات، وليوقن المسلم أن السبب والمسبب من خلقه جميعًا، لا شريك له، فهو الفاعل الحقيقي، وهو المدبر وحده للكائنات، في كل لحظة من اللحظات، وتأثير الأسباب في مسبباتها قانون خلقه الله مرتبطًا بإرادة الله ومشيئته، فقد خلق سبحانه الحرارة والإحراق في النار، تفعل فعلها بإرادته وقدرته وإذنه لها، فإن شاء أن تكون بردًا وسلامًا كانت بأمره: كن فيكون، وما شاء الله كان وما لم يشاء لم يكن: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٨].

ولقد أرشدنا الرسول ﷺ إلى أدعية وتعاويذ تشفي من آثار الأمراض، وعلّمنا أن اللجوء إلى الله عند الأمراض هو أساس الشفاء، فلا شافي إلا هو، ولا شفاء إلا شفاؤه، وعلمنا كذلك الاستشفاء بالماديات، والتي فيها الشفاء النافع، والعلاج الناجع، لكثير من الأمراض بإذن الله تعالى، وتتلخص في:

أ- الحجامة

مفهوم الحجامة:

الحجامة: مأخوذة من الحجم: أي المص، يقال: حجم الصبي ثدي أمه إذا مصّه. والحجّام المصاص، والحجامة صناعته، والمِحْجَم يطلق على الآلة التي يُجمَع فيها الدم، وعلى مشرط الحجام.

والحجامة: إخراج الدم من القفا بواسطة المص، وذكر الزرقاني: أن الحجامة لا تختص بالقفا بل تكون من سائر البدن. [شرح الزرقاني على الموطأ ٢ / ١٨٧]. وإلى هذا ذهب الخطابي.

فالحجامة هي: شَرْطُ الجِلْد بموسي ونحوه، وجذب الدم بالحَجْم ونحوه، وهو الدم الفاسد من الجسم، ويلحق بالحجامة الفصادة: وهي قطع العروق، واستخراج الدم منها وكيها؛ ليقف سيلان الدم.

فالفصد والحجامة يجتمعان في أن كلاً منهما:



إخراج للدم، ويفترقان في أن الفصد شق العِرْق، والحجامة مصُّ الدم بعد الشرط.

حكمها

الحجامة من خير الأدوية، وقد جاءت الأحاديث الدالة على مشروعيتها، والترغيب في التداوي بها، ولاسيما لمن احتاج إليها، فالتداوي بالحجامة مندوب إليه، وورد في ذلك عدة أحاديث منها:

- عَنْ حُمَيْدٍ قَالَ سُئِلَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ -رضي الله عنه- عَنْ كَسْبِ الْحَجَّامِ. فَقَالَ: احْتَجَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، حَجَمَهُ أَبُو طَيْبَةَ؛ فَأَمَرَ لَهُ بِصَاعَيْنِ مِنْ طَعَامٍ، وَكَلَّمَ أَهْلَهُ فَوَضَعُوا عَنْهُ مِنْ خَرَاجِهِ، وَقَالَ: «إِنَّ أَفْضَلَ مَا تَدَاوَيْتُمْ بِهِ الْحِجَامَةُ، أَوْ هُوَ مِنْ أَمْثَلِ دَوَائِكُمْ» [مسلم ٤١٢٤]. وفي بعض الروايات «خَيْرُ مَا تَدَاوَيْتُمْ بِهِ الْحِجَامَةُ» [أحمد ١٢٠٤٥].

وعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنْ كَانَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَدْوِيَتِكُمْ أَوْ يَكُونُ فِي شَيْءٍ مِنْ أَدْوِيَتِكُمْ خَيْرٌ؛ فَفِي شَرْطَةِ مِحْجَمٍ، أَوْ شَرْبَةِ عَسَلٍ، أَوْ لَذْعَةٍ بِنَارٍ تُوَافِقُ الدَّاءَ، وَمَا أُحِبُّ أَنْ أَكْتَوِيَ» [متفق عليه واللفظ للبخاري].

وعن عاصم بن عمر بن قتادة: أن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- عَادَ الْمُقَنَّعَ، ثُمَّ قَالَ: لا أَبْرَحُ حَتَّى تَحْتَجِمَ؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ فِيهِ شِفَاءً» [متفق عليه].

قال الحافظ ابن حجر: والتحقيق في أمر الفصد والحجامة أنهما يختلفان باختلاف الزمان والمكان والمزاج، فالحجامة في الأزمان الحارة والأمكنة الحارة والأبدان الحارة التي دم أصحابها في غاية النضج أنفع، والفصد بالعكس. [انظر فتح الباري، كتاب الطب (١٠ / ١٥٧)].

وتجوز الحجامة في أية ساعة، فقد احتجم أبو موسى ليلاً. قال الحافظ: «ولا تقيد بوقت دون وقت؛ لأنه ذكر الاحتجام ليلاً، وذكر حديث ابن عباس: أن النبي ﷺ احتجم وهو صائم. وهو يقتضي كون ذلك وقع منه نهارًا».



وعند الأطباء أن أنفع الحجامة ما يقع في الساعة الثانية أو الثالثة، وألا يقع عقب استفراغ، عن جماع أو حمام أو غيرهما، ولا عقب شبع ولا جوع، وقد ورد في تعيين الأيام للحجامة حديث لابن عمر عند ابن ماجه رفعه في أثناء حديث وفيه: «فاحتجموا على بركة الله يوم الخميس، واحتجموا يوم الاثنين والثلاثاء، واجتنبوا الحجامة يوم الأربعاء والجمعة والسبت والأحد». أخرجه من طريقين ضعيفين. [ابن ماجه ٣٤٨٧ وحسنه الألباني].

ونقل الخلال عن أحمد أنه كره الحجامة في الأيام المذكورة، وإن كان الحديث لم يثبت.

وورد في عدد أيام من الشهر أحاديث منها: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنِ احْتَجَمَ لِسَبْعَ عَشْرَةَ وَتِسْعَ عَشْرَةَ وَإِحْدَى وَعِشْرِينَ كَانَ شِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاءٍ» [أبو داود ٣٨٦٣ وحسنه الألباني]. وله شاهد من حديث ابن عباس عند أحمد والترمذي ورجاله ثقات، لكنه معلول، وشاهد آخر من حديث أنس عند ابن ماجه، وسنده ضعيف.

ولكون هذه الأحاديث لم يصح منها شيء قال حنبل بن إسحاق: كان أحمد يحتجم أي وقت هاج به الدم، وأي ساعة كانت.

وقد اتفق الأطباء على أن الحجامة في النصف الثاني من الشهر، ثم في الربع الثالث من أرباعه أنفع من الحجامة في أوله وآخره.

قال الموفق البغدادي: وذلك أن الأخلاط في أول الشهر تهيج، وفي آخره تسكن، فأولى ما يكون الاستفراغ في أثنائه. والله أعلم.

[انظر فتح الباري (١٠ / ١٥٧، ١٥٨)].

أخذ الأجر عليها

ذهب جمهور الفقهاء: الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة في قول - إلى جواز اتخاذ الحجامة حرفةً، وأخذ الأجرة عليها، واستدلوا بما ثبت عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ: احْتَجَمَ النَّبِيُّ ﷺ، وَأَعْطَى الَّذِي حَجَمَهُ، وَلَوْ كَانَ حَرَامًا لَمْ يُعْطِهِ» [البخاري ٢١٠٣].

عَنْ حُمَيْدٍ قَالَ سُئِلَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ -رضي الله عنه- عَنْ كَسْبِ الْحَجَّامِ. فَقَالَ: احْتَجَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، حَجَمَهُ أَبُو طَيْبَةَ؛ فَأَمَرَ لَهُ بِصَاعَيْنِ مِنْ طَعَامٍ، وَكَلَّمَ أَهْلَهُ فَوَضَعُوا عَنْهُ مِنْ خَرَاجِهِ، وَقَالَ: «إِنَّ أَفْضَلَ مَا تَدَاوَيْتُمْ بِهِ الْحِجَامَةُ، أَوْ هُوَ مِنْ أَمْثَلِ دَوَائِكُمْ» [مسلم ٤١٢٤].

الحجامة من خير الأدوية، وقد جاءت الأحاديث الدالة على مشروعيتها، والترغيب في التداوي بها، ولاسيما لمن احتاج إليها، فالتداوي بالحجامة مندوب إليه، وورد في ذلك عدة أحاديث

فلو علمه حرامًا لم يعطه؛ ولأن الحجامة منفعة مباحة؛ فجاز الاستئجار عليها، ولأن بالناس حاجة إليها، ولا نجد كل أحد متبرعًا بهذا، فجاز الاستئجار عليها كالرضاع.

وذهب الحنابلة في قول آخر نسبه القاضي إلى أحمد قال: لا يُباح أجر الحجام، فإن أُعطِيَ شيئًا من غير عقد ولا شرط فله أخذُه، ويصرفه في علف داوبه، ومؤنة صناعته، ولا يحل له أكله.

[راجع المغني ٥ / ٥٣٩، ونيل الأوطار ٦ / ٢٣].

واستدلوا بما صح عَنْ رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ -رضي الله عنه- أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «كَسْبُ الْحَجَّامِ خَبِيثٌ، وَثَمَنُ الْكَلْبِ خَبِيثٌ، وَمَهْرُ الْبَغِيِّ خَبِيثٌ» [أبو داود ٣٤٢٣ وصححه الألباني]. وكذلك بحديث محيصة أنه سأل النبي ﷺ عن كسب الحجام فنهاه، فذكر له الحاجة؛ فقال: «اعلفه نواضحك». [ابن ماجه ٢١٦٦ وصححه الألباني].

وذكر ابن الجوزي: أن أجر الحجام إنما كره لأنه من الأشياء التي تجب للمسلم على المسلم؛ إعانة له عند الاحتياج له، فما كان ينبغي له أن يأخذ على ذلك أجرًا.

وجمع ابن العربي بين قوله ﷺ: «كسب الحجام خبيث». وبين إعطائه الحجام أجرته بأن محل الجواز ما إذا كانت الأجرة على عمل معلوم، ويُحمل الزجر على ما إذا كان على عمل مجهول. [انظر فتح الباري (٤ / ٥٣٦)، كتاب الإجارة، باب خراج الحجام].

وقال النووي: كونه خبيثًا من شر الكسب، فيه دليل لمن يقول بتحريمه، وقد اختلف العلماء فيه؛ فقال الأكثرون من السلف والخلف: لا يحرم كسب الحجام، ولا يحرم أكله على الحُرّ ولا على العبد، وهو المشهور من مذهب أحمد، وفي رواية عنه قال بها فقهاء المحدثين: يحرم على الحر دون العبد، واعتمدوا هذه الأحاديث وشبهها.

واحتج الجمهور بحديث ابن عباس رضي الله عنهما السابق - قالوا: ولو كان حرامًا لم يعطه النبي ﷺ، وحملوا الأحاديث الواردة في النهي على التنزيه، والترفع عن دنيء الأكساب، والحث على مكارم الأخلاق، ومعالي الأمور، ولو كان حرامًا لم يفرق فيه بين الحر والعبد، فإنه لا يجوز للرجل أن يطعم عبده ما لا يحل. اهـ.

والبعض ادعى النسخ، وأنه كان حرامًا، ثم أُبيح، وجنح إلى ذلك الطحاوي، والنسخ لا يثبت بالاحتمال، والله أعلم.

ضمان الحجام

الحجام لا يضمن إذا فعل ما أمر به، وتوفر شرطان:

أ- أن يكون قد بلغ مستوًى في حذق صناعته يمكِّنه من مباشرتها بنجاح.

ب- ألا يتجاوز ما ينبغي أن يفعل في مثله. [انظر المغني (٥ / ٥٣٨)].

وللحديث بقية في تأثير الحجامة على الطهارة والصوم والحج، إن شاء الله تعالى، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.



عيسى ابن مريم

- عليه السلام -





إعداد/ عبدالرازق السيد عيد

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد:

فقد انتهينا في اللقاء الماضي عندما التف الحواريون حول عيسى ينصرون دينه الذي جاء به، وأعلنوا إسلامهم لله رب العالمين في مواجهة الكفر البواح الذي أعلنه اليهود الذين لم يقف أمرهم عند تكذيب عيسى عليه السلام والكفر بما جاء به، واتهامه بالسحر، واتهام أمه الشريفة الطاهرة الكريمة وقولهم عليها بهتانًا عظيمًا!

أقول: لم يقف مكر اليهود من بني إسرائيل عند هذا الحد، بل وشوا للحاكم الروماني في ذلك الزمان، وادعوا أن عيسى يجمع الناس ضده، ويحاول الخروج على الدولة الرومانية حتى وافقهم على قتله، بل أصدر مرسومًا يفوّض اليهودَ أن يفعلوا بالمسيح ما يشاءون من قتل وصلب وغير ذلك.

وهكذا حاك القوم المؤامرة للتخلص من عيسى عليه السلام ودعوته إلى الأبد، فهل تركهم الله يفعلون ما يشاءون بنبيه ورسوله الكريم عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام؟

فلنتدبر بعض الآيات من كتاب ربنا جل شأنه؛ التي تنبئنا عن تدبير الله لنبيِّه، وكيف نجاه من بين أيديهم، ورفعه إلى السماء كريمًا معززًا. قال الله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (٥٤) إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [آل عمران: ٥٤-٥٥].

وقال تبارك وتعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (١٥٥) وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا (١٥٦) وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ

رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٥٨) وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٥ - ١٥٩].

ونحاول من خلال الوقوف مع هذه الآيات أن نستخلص منها عبرًا وفوائد:

أولاً: نظرة عامة

الآيات في سورة آل عمران تفيد أن الله أنبأ عيسى عليه السلام أنه متوفيه، ورافعه إليه، ومطهره من الذين كفروا، وجاعل العزَّة لأتباعه إلى يوم القيامة، ولا شك في وعد الله وعهده، ومن أوفى بعهده من الله.

ولذا كانت آيات سورة النساء توكيدًا وبيانًا لطبيعة بني إسرائيل في نقض العهود والمواثيق، وكفرهم، وقتلهم الأنبياء، فهذا ديدنهم فكم قتلوا؟ قتلوا الكثير.

وتدبر قول ربنا عز وجل فيهم: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧]، إذن هم قتلوا الأنبياء بالجملة، ومنهم يحيى وزكريا، عليهما السلام، وحاولوا قتل عيسى عليه السلام، بل قالوا: إنهم قتلوه وصلبوه. وهذا الذي نفته سورة النساء بوضوح ويقين: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾، ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾، ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾.

ثانيًا: وقفة تدبُّر مع شيء من التفصيل حول تفسير بعض المفردات

- ﴿وَمَكَرُوا﴾ أي: يهود بني إسرائيل، حين دبَّروا قتل المسيح عليه السلام.
- ﴿وَمَكَرَ اللَّهُ﴾: دبَّر الله لنجاة عبده ورسوله عيسى، وخيَّبهم فيما عزموا عليه.
- ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾: سبحانه وتعالى أحسن المدبرين لإنقاذ أنبيائه وأوليائه، وإهلاك أعدائه.
- ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾: متمم لك ما كتبت لك من أيام بقائك مع قومك.

ثالثًا: مناقشة ما يحتاج إلى تفصيل

١- لا يجوز وصف الله سبحانه بصفة المكر مُطلقة؛ إلا أن يكون الوصف بها مقيدًا كما جاء بالآية الكريمة: ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾، فالمكر منه المذموم والممدوح، ولله سبحانه منه أكملُ الوصف وأجمله.

٢- يترتب على ما سبق أنه لا يجوز أن يُشتق من هذا الوصف اسم لله تعالى، كما غلط البعض فجعل من أسمائه الحسنى (المضل - الفاتن - الماكر)، تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا؛ فهذه صفات أفعال مخصوصة في أحوال معينة؛ فلا يجوز أن يسمَّى بأسمائها، فباب الأفعال والأخبار أوسع من باب الأسماء، فلا نسمي الله - سبحانه - إلا بما سمى به - سبحانه - نفسه، أو سماه رسوله ﷺ.

٣- اختُلف في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ على وجوه: أشهرها: (الوفاة الحقيقية - الوفاة بمعنى النوم - الوفاة بمعنى انتهاء الأجل في الأرض - الوفاة بمعنى القبض والانتقال والرفع).

وللعلماء - رحمهم الله - أقوال في الترجيح نختصرها فيما يلي:

١- بعد أن عرض الإمام القرطبي - رحمه الله - الأقوال في معنى الوفاة قال: «والصحيح أن الله تعالى رفعه إلى السماء من غير وفاة ولا نوم، كما قال الحسن وابن زيد، وهو اختيار الطبري، وهو الصحيح عن ابن عباس».

٢- ويختار هذا أيضًا صاحب أيسر التفاسير، ويؤكده قائلاً: «لم أر داعيًا إلى استشكال رفع عيسى حيًا إلى الملكوت الأعلى، وإبقائه هناك إلى أن يُنزله الله في آخر أيام هذه الدنيا؛ حيث صرّح رسول الله ﷺ بنزول عيسى بما لا مجال للشك فيه، وإن السنن الكونية خلقها الله تعالى؛ فهو قدير على تبديل ما شاء منها، أليس الله على كل شيء قديرًا؟ بلى. فلِمَ إذًا يرتبك المؤمنون في شأن رفع عيسى حيًا وإبقائه في دار السلام حيًا حتى ينزل في آخر الدنيا؟». اهـ.

انتهى كلام الشيخ أبي بكر الجزائري، حفظه الله، وكأني به - والله أعلم - يشير إلى خرق السنن لعيسى منذ ولادته؛ حيث وُلد بغير أب، وأراد الله أن يجعله آية للناس، وكذلك بدَّل الله لعيسى - عليه السلام - السنن؛ فتكلم في المهد، ومن قوله: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ٢٣].

فخوارق العادات من لوازم عيسى عليه السلام منذ ولادته، وفي حياته، ويوم عودته مرة أخرى

للدنيا قبل وفاته الوفاة الآخرة.

٣- أما الإمام ابن كثير - رحمه الله - فقد عرض لنا الأقوال بغير ترجيح، لكنه قدَّم قولاً، وكأني به يقدمه على غيره، والله أعلم.

وهذا القول هو: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾. قال قتادة وغيره: هذا من المقدم والمؤخر تقديره إني رافعك إليَّ ومتوفيك بعد ذلك. اهـ.

وهو بتقديم هذا القول يوافق ما ذهب إليه الإمام القرطبي، وصححه عن ابن عباس وغيره، وهو اختيار الإمام الطبري، والله أعلم.

رابعًا: في قوله تعالى: ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية.

يقول الإمام ابن القيم - رحمه الله -: «فلما كان للنصارى نصيب من اتّباعه كانوا فوق اليهود إلى يوم القيامة، ولما كان المسلمون أتبع من النصارى كانوا فوق النصارى إلى يوم القيامة». اهـ.

وهذا القول البديع مجمل يفصله الإمام ابن كثير رحمه الله كالتالي: (وهكذا وقع؛ فإن المسيح عليه السلام لما رفعه الله إلى السماء؛ تفرقت أصحابه شِيَعًا بعده، فمنهم من آمن بما بعثه الله به على أنه عبد الله ورسوله وابن أَمَته، ومنهم من غلا فيه فجعله ابن الله، وآخرون قالوا هو الله، وآخرون قالوا: ثالث ثلاثة، واستمروا على ذلك ثلاثة قرون، ثم نبغ لهم ملك من ملوك اليونان يقال له «قسطنطين»، فدخل في دين النصرانية، قيل حيلة ليفسده؛ فإنه كان فيلسوفًا، وقيل جهلاً منه - إلا أنه بدَّل لهم دين المسيح، وحرَّفه، وزاد فيه ونقص منه، ووضع له القوانين والأمانة الكبرى - في زعمهم -، والتي هي الخيانة الحقيرة، وأحلّ لهم في زمانه لحم الخنزير، وصلّوا إلى المشرق، وصوروا له الكنائس والمعابد والصوامع، وزاد في صيامهم عشرة أيام من أجل ذنب ارتكبه فيما يزعمون، فصار دين المسيح دين قسطنطين، واتبعه طائفة الملكية منهم، وهم في هذا كله قاهرون لليهود، وهو وإن كان أقرب للحق من اليهود، إلا أن الجميع كفار.

فلما بعث الله محمدًا ﷺ؛ فكان من آمن به يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله على الوجه الحق، فكانوا هم أتباع كل نبي على وجه الأرض، فهم أولى بإبراهيم من اليهود والنصارى، وأولى بموسى من اليهود، وأولى بعيسى من النصارى، وقد نسخ الله بشريعة محمد كل الشرائع، وأرسله الله بالهدى ودين الحق الذي لا يغيّر ولا يبدل إلى قيام الساعة، ولا يزال قائمًا ظاهرًا منصورًا على كل دين، فلهذا فتح الله لأصحابه مشارق الأرض ومغاربها، ودانت لهم جميع الممالك، وكسروا كسرى، وقصروا قيصر، وهذا ما وعدهم الله به؛ حيث قال الله سبحانه: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥].

وقد وعدهم الصادق المصدوق محمد ﷺ بفتح القسطنطينية، وقد حدث، وسيفتحونها مرة أخرى، إن شاء الله تعالى، ويفتحون روما، أو رومية كما أخبر عليه الصلاة والسلام. [انتهى ملخصًا من تفسير ابن كثير، الجزء الأول].

وحول هذه القضية أيضًا نقل الإمام القرطبي عن الحسن وابن جريج ما ملخصه: «ورفع الله تعالى عيسى من روزنة كانت في البيت إلى السماء، قال: وجاء الطلب من اليهود؛ فأخذوا الشبيه وقتلوه، ثم صلبوه، ثم تفرقوا ثلاث فِرَق: قالت فرقة: كان فينا الله ما شاء ثم صعد إلى السماء، وهؤلاء هم اليعقوبية، وقالت: كان فينا ابن الله ما شاء ثم رفعه إليه وهؤلاء النسطورية، وفرقة قالت: كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء الله ثم رفعه إليه، وهؤلاء المسلمون. فتظاهرت الكافرتان على المسلمة فقتلوها، فلم يزل الإسلام طامسًا حتى بعث الله محمدًا ﷺ».

وهذا الذي ذكره القرطبي في الذين اتبعوا المسيح من النصارى، أما اليهود الذين كفروا به وتآمروا عليه، وقالوا: إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم؛ فقد رد الله عليهم: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾، فكيف نجى الله نبيه ورسوله عيسى من براثن اليهود؟

هذا ما سنجيب عليه إن شاء الله في لقائنا القادم، فإلى اللقاء مع خالص الدعاء. والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله أجمعين.



الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسولنا الأمين، سيدنا محمد، عبد الله ورسوله الصادق الوعد الأمين، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن الله عز وجل يَدفع عباده إليه دفعًا تارة بالوعد بالمغفرة والعفو والرحمة والجنة والرضوان، وتارة بالوعيد الشديد بالعذاب الأليم المهين على الشرك والكفر والمعاصي.

قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]، وقال سبحانه: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ [إبراهيم: ٤٧]، وقال عز وجل: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧]، وقال تبارك وتعالى: ﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ (٢٨) مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [ق: ٢٨-٢٩]. فنصوص الوعد تبعث في قلوب الخائفين والمذنبين الرجاء والأمل في التوبة والوعد بالمغفرة والرحمة لكل من أقبل على الله تائبًا من ذنبه.

وفي المقابل نرى نصوص الوعيد تتوعد الكفار والمشركين وأهل الكبائر المصرّين على ذنوبهم بأليم العذاب وشديد العقاب إذا لم يتوبوا ويؤمنوا؛ فإن تابوا وآمنوا وعملوا الصالحات تاب الله عليهم.

نصوص الكتاب والسنة في الوعد والوعيد

والكتاب والسنة كلاهما يشتمل على نصوص الوعد والوعيد، فنصوص الوعد على الأعمال الصالحة مشروطة بعدم الكفر المحبط للأجر والعمل؛ لأن القرآن قد دل على أن من ارتد فقد حبط عمله، وكذلك نصوص الوعيد للكفار والفساق مشروطة بعدم التوبة؛ لأن القرآن الكريم قد دلَّ على أن الله تعالى يغفر الذنوب جميعًا لمن تاب، وهذا متفق عليه بين المسلمين، فإن الله تعالى قد بيَّن بنصوص معروفة واضحة أن الحسنات يذهبن السيئات، وأن من يعمل مثقال ذرة خيرًا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرًا يره، وأنه سبحانه يجيب دعوة الداعي إذا دعاه، وأن مصائب الدنيا تكفّر الذنوب، وأنه يقبل شفاعة النبي ﷺ في أهل الكبائر، وأنه لا يغفر أن يُشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، كما بين سبحانه أن الصدقة يبطلها المن والأذى، وأن الرياء يبطل العمل، وأنه إنما يتقبل من المتقين؛ أي في ذلك العمل ونحو ذلك.

فجعل للسيئات ما يوجب رفع عقابها، كما جعل للحسنات ما قد يبطل ثوابها، لكن ليس شيء يبطل جميع السيئات إلا التوبة، كما أنه ليس شيء يبطل جميع الحسنات إلا الردة.

وبهذا تبين أننا نشهد بأن قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠] على الإطلاق والعموم، ولا نشهد لمعيَّن أنه في النار؛ لأنا لا نعلم لحوق الوعيد له بعينه؛ لأن لحوق الوعيد بالمعيَّن مشروط بشروط وانتفاء موانع، ونحن لا نعلم ثبوت الشروط وانتفاء الموانع في حقه.

فائدة الوعيد

وفائدة الوعيد: بيان أن هذا الذنب سببٌ مقتضٍ لهذا العذاب، والسبب قد يقف تأثيره على وجود شرطه وانتفاء مانعه.

يوضح هذا: أنه قد ثبت أن النبي ﷺ لعن الخمر، وعاصرها ومعتصرها، وحاملها، والمحمولة إليه، وشاربها وساقيها، وبائعها ومبتاعها، وآكل ثمنها. وثبت عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلاً عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ كَانَ اسْمُهُ عَبْدَ اللَّهِ، وَكَانَ يُلَقَّبُ حِمَارًا، وَكَانَ يُضْحِكُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ جَلَدَهُ فِي الشَّرَابِ؛ فَأُتِيَ بِهِ يَوْمًا فَأَمَرَ بِهِ فَجُلِدَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: اللَّهُمَّ الْعَنْهُ، مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَى بِهِ! فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لا تَلْعَنُوهُ؛ فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ إِنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ» [البخاري ٦٧٨٠].

فنهى عن لعن هذا المعيَّن، مع أنه مُدْمِن خمر؛ لأنه يحب الله ورسوله، وقد لعن شارب الخمر على العموم.

إنفاذ الوعيد

إعداد/ محمد رزق ساطور

فالوعد: يرى أهلُ السنة أن العبدَ لا يستوجب بسعيه نجاةً ولا فلاحًا، ولا يُدْخلُ أحدًا عملُه الجنةَ، ولا ينجيه من النار، وإنما الله تعالى بفضله ومحض جوده وكرمه أكد إحسانه بأن جعل لعبده عليه سبحانه وتعالى حقًّا بمقتضى الوعد، والله تعالى لا يخلف الوعد؛ وعليه فإن الله تعالى إذا وعد عباده بشيء كان وقوعه مؤكدًا بحكم الوعد لا بحكم الاستحقاق» [انظر: المنتقى من منهاج الاعتدال، ومدارج السالكين].

قال ابن القيم رحمه الله:

وهو الشكور فلن يضيع سعيهم
لكن يضاعفه بلا حسبان
ما للعباد عليه حق واجب
هو أوجب الأجر العظيم الشان
كلا ولا عمل لديه ضائع
إن كان بالإخلاص والإحسان
إن عذبوا فبعدله أو نعموا
فبفضله والحمد للمنان

شروط الوعيد

بيَّن الله تعالى في كتابه أن الوعيد الموجود في الكتاب والسنة لأهل الكبائر، وأنه بشروط: بأن لا يتوب فإن تاب؛ تاب الله عليه، قال تبارك وتعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]، أي لمن تاب. وبأن لا تكون له حسنات تمحو ذنوبه؛ فإن الحسنات يذهبن السيئات، قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤]، وبأن لا يشاء الله أن يغفر له، قال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨].

وعليه فإن مرتكب الكبيرة، مما دون الشرك، إذا لم يتب، ولم تكن له حسنات تمحو سيئاته؛ فإنه تحت مشيئة الله، إن شاء غفر له وأدخله الجنة، وإن شاء عذبه على قدر ذنبه، ثم أخرجه من النار فلا يخلد فيها.

عن عُبَادَةَ بن الصَّامِتِ رضي الله عنه وكان شَهِدَ بَدْرًا، وهو أَحَدُ النُّقَبَاءِ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال - وَحَوْلَهُ عِصَابَةٌ من أَصْحَابِهِ -: «بَايِعُونِي على أَنْ لا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شيئًا، ولا تَسْرِقُوا ولا تَزْنُوا، ولا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ، ولا تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بين أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ، ولا تَعْصُوا في مَعْرُوفٍ؛ فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ على اللَّهِ، وَمَنْ أَصَابَ من ذلك شيئًا فَعُوقِبَ في الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ له، وَمَنْ أَصَابَ من ذلك شيئًا ثُمَّ سَتَرَهُ الله فَهُوَ إلى اللَّهِ إن شَاءَ عَفَا عنه وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ فَبَايَعْنَاهُ على ذلك» [البخاري ١٨].

ثم إن النار يخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان، فعن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، ثُمَّ يقول الله تَعَالَى: أَخْرِجُوا من كان في قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ من خَرْدَلٍ من إِيمَانٍ؛ فَيُخْرَجُونَ منها قد اسْوَدُّوا فَيُلْقَوْنَ في نَهَرِ الْحَيَا أو الْحَيَاةِ، شَكَّ مَالِكٌ، فَيَنْبُتُونَ كما تَنْبُتُ الْحِبَّةُ في جَانِبِ السَّيْلِ، أَلَمْ تَرَ أنها تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً» [البخاري ٢٢].

وأما الكفار فقد أخبر سبحانه بأنه لا يغفر لمن مات على كفره. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨]. وقال جل وعلا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ [محمد: ٣٤]. وقال سبحانه: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ(٢٤) مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ (٢٥) الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ﴾ [ق: ٢٤-٢٦].

قال شيخ الإسلام: «وَالَّذِي عَلَيْهِ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ الإِيمَانُ بِالْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ فَكَمَا أَنَّ مَا تَوَعَّدَ اللَّهُ به الْعَبْدَ مِنْ الْعِقَابِ قَدْ بَيَّنَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ بِشُرُوطٍ: بِأَنْ لا يَتُوبَ فَإِنْ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ. وَبِأَنْ لا يَكُونَ لَهُ حَسَنَاتٌ تَمْحُو ذُنُوبَهُ؛ فَإِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ وَبِأَلاَّ يَشَاءَ اللَّهُ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾. فَهَكَذَا الْوَعْدُ لَهُ تَفْسِيرٌ وَبَيَانٌ. فَمَنْ قَالَ بِلِسَانِهِ: لا إلَهَ إلاَّ اللَّهُ وَكَذَّبَ الرَّسُولَ فَهُوَ كَافِرٌ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ وَكَذَلِكَ إنْ جَحَدَ شَيْئًا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ. فَلا بُدَّ مِنْ الإِيمَانِ بِكُلِّ مَا جَاءَ بِهِ

الرَّسُولُ ثُمَّ إنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْكَبَائِرِ فَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ إنْ شَاءَ عَذَّبَهُ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ؛ فَإِنْ ارْتَدَّ عَنْ الإِسْلامِ وَمَاتَ مُرْتَدًا كَانَ فِي النَّارِ فَالسَّيِّئَاتُ تُحْبِطُهَا التَّوْبَةُ وَالْحَسَنَاتُ تُحْبِطُهَا الرِّدَّةُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ حَسَنَاتٌ وَسَيِّئَاتٌ فَإِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُهُ، بَلْ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ. وَاَللَّهُ تَعَالَى قَدْ يَتَفَضَّلُ عَلَيْهِ وَيُحْسِنُ إلَيْهِ بِمَغْفِرَتِهِ وَرَحْمَتِهِ. وَمَنْ مَاتَ عَلَى الإيمان فَإِنَّهُ لا يُخَلَّدُ فِي النَّارِ. فَالزَّانِي وَالسَّارِقُ لا يُخَلَّدُ فِي النَّارِ بَلْ لا بُدَّ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ. فَإِنَّ النَّارَ يَخْرُجُ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إيمَانٍ» [مجموع الفتاوى ٨ / ٢٧١-٢٧٢].

وقال ابن القيم: وأما الوعيد فمذهب أهل السنة كلهم أن إخلافه كرم وعفو وتجاوز، يُمدح الرب تبارك وتعالى به، ويُثْنَى عليه به؛ فإنه حق له، إن شاء تركه، وإن شاء استوفاه. والكريم لا يستوفي حقه؛ فكيف بأكرم الأكرمين؟» [حادي الأرواح ص ٣٨٤].

وقال النووي: «وأما حكمه ﷺ على من مات مشركًا بدخول النار، ومن مات غير مشرك بدخوله الجنة، فقد أجمع عليه المسلمون، فأما دخول المشرك النار فهو على عمومه فيدخلها ويخلد فيها» [شرح مسلم للنووي ٢ / ٩٧].

الحكمة في الوعد والوعيد

ويجب أن نفهم حكمة الباري في الوعد والوعيد، ويمكن تلخيصها بالآتي:

يعطي المولى سبحانه وتعالى الدنيا مَنْ يحب ومَنْ لا يحب، ولا يعطي الآخرة إلا مَنْ يحب. والمصائب في الدنيا إما أن تكون عقوبة أو ابتلاءً: فالعقوبة فيها تكفير للذنوب، أو تنبيه للرجوع إلى الحق، أو عبرة للآخرين، أو كل ذلك. والابتلاء فيه رفع للدرجات، أو تمييز للخبيث من الطيب، أو كلاهما.

وإعطاء الله العبد من الدنيا على معاصيه لا يدل على أنه راضٍ عنه، بل قد يدل على أحد أمرين أو كليهما:

(١) قد تكون له أعمال صالحة، فيريد الله أن يعجّل له حسناته في الدنيا؛ حتى لا يكون له نصيب في الآخرة، فالله تعالى لا يظلم أحدًا مثقال ذرة، سبحانه وتعالى.

(٢) قد يكون من الاستدراج حتى إذا أخذه لم يفلته، فعن عُقْبَةَ بن عَامِرٍ عَنِ النبي ﷺ قال: «إذا رَأَيْتَ اللَّهَ يعطي الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا على مَعَاصِيهِ ما يُحِبُّ؛ فَإِنَّمَا هو اسْتِدْرَاجٌ، ثُمَّ تَلاَ رسول اللَّهِ ﷺ: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤]. [أحمد ١٧٣١١ وصححه الألباني].

ففي الوعد قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُواْ هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥].

وقال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٤-٥٥].

عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنْ لا إِلَهَ إلا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ». [أحمد ٤٦٤ ومسلم ٢٦].

وفي الوعيد، قال تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرواْ وَكَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا أُولَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٣٩]، وقال جل وعلا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُوْلَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٦]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٤٥].

منهج أهل السنة والجماعة في الوعد والوعيد

وأهل السنة والجماعة يشهدون للعشرة المبشرين بالجنة، كما شهد لهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وكلُّ من شهد له النبي ﷺ بالجنَّة شهدوا له بها.

عن عبد الرحمن بن عَوْف رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «أبو بَكْرٍ في الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ في الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ في الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ في الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ في الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ في الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرحمن بن عَوْفٍ في الْجَنَّةِ، وَسَعْدٌ في الْجَنَّةِ، وَسَعِيدٌ في الْجَنَّةِ، وأبو عُبَيْدَةَ بن الْجَرَّاحِ في الْجَنَّةِ». [الترمذي ٣٧٤٧ وصححه الألباني].

وقد ثبت لكثير من الصحابة الشهادة بالجنة، كعكاشة بن محصن، وعبد الله بن سلام، وآل ياسر، وبلال بن رباح، وجعفر بن أبي طالب، وثابت بن قيس، وزيد بن حارثة، وعبد الله بن رواحة، وفاطمة ابنة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، والحسن والحسين وخديجة بنت خويلد، وعائشة، وصفية، وحفصة، وجميع زوجاته صلى الله عليه وآله وسلم، وغيرهم، رضي الله عنهم أجمعين.

وأمَّا مَن جاءت النصوص بأنَّهم من أهل النار، فنشهد لهم بذلك، منهم أبو لهب عبد العزى بن عبد المطلب، وامرأته أم جميل أروى بنت حرب، وغيرهما ممن ثبت في حقهم ذلك.

وأهل السُّنَّة والجماعة: لا يجزمون لأحد بعينه، كائنًا من كان؛ بجنة ولا نار إلا من جزم له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولكن يرجون للمحسن، ويخافون على المسيء؛ ولهذا لا يُحكم على أحد قُتل أو مات بأنه شهيد؛ لأن النية مردها إلى الله تعالى. والصحيح أن يقال: نسأل الله له الشهادة نحسبه شهيدًا، إن شاء الله، ولا نزكي على الله أحدًا بصيغة الدعاء، وليس بصيغة الجزم؛ لأن الجزم قول على الله بلا علم.

ويعتقدون أَنَّ الجنَّة لا تجب لأحد، وإنْ كان عمله حسنا إلا أَنْ يَتَغَمَّدَه الله بفضله فيدخلها برحمته، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٢١].

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «مَا مِنْ أَحَدٍ يُدْخِلُهُ عَمَلُهُ الجنة» فقيل: ولا أنتَ؟ يا رسول الله! قال: «وَلا أَنَا؛ إلا أَنْ يَتَغمدَني رَبي بِرحْمَة» [مسلم ٢٨١٦].

وأهل السُّنَّة والجماعة: لا يوجبون العذاب لكل مَن توجَّه إليه الوعيد - في غير ما يقتضي الكفر - فقد يغفر الله له بما فعله من طاعات، أو بتوبة، أو بمصائب وأمراض مكفرة، قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]، وعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلى الطَّرِيقِ فَأَخَّرَهُ فَشَكَرَ الله له فَغَفَرَ له». [متفق عليه].

وأهل السُّنَّة والجماعة: يعتقدون أنَّ وعد الله للمؤمنين بالجنة، ووعيده بتعذيب العصاة الموحدين، وتعذيب الكفار والمنافقين في النار حق، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً﴾ [النساء: ١٢٢]، ولكن الله سبحانه يعفو عن عصاة الموحدين بفضله وكرمه، وقد وعد الله تعالى بالعفو عن الموحدين، ونفاه عن غيرهم، فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾.

قواعد من منهج أهل السنة

وقد أجمل أهل السنة ذلك في أصول، أهمها ما يلي:

١- من مات على التوحيد دخل الجنة - يومًا من الدهر، أصابه قبل ذلك اليوم ما أصابه.

٢- من مات على الشرك بعد بلوغ الرسالة؛ فهو مخلد في النار أبدًا.

٣- المسلم الذي يرتكب الكبائر ويصر عليها، أي: لا يتوب منها؛ لا يكفر بفعلها، ولا يخلد في النار لو دخلها في الآخرة، ما لم يستحلّها.

٤- من رجحت حسناته على سيئاته بواحدة دخل الجنة لأول وهلة، ومن تساوت حسناته وسيئاته؛ فهو من أصحاب الأعراف، ومآله إلى الجنة، ومن رجحت سيئاته على حسناته بواحدة استحق دخول النار.

٥- من استحق دخول النار من عصاة الموحدين، فهو تحت مشيئة الله إن شاء عذبه وان شاء غفر له.

عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ». [متفق عليه].

وعن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي». [متفق عليه].

وعن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قال رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: إِذَا تَلَقَّانِي عَبْدِي بِشِبْرٍ تَلَقَّيْتُهُ بِذِرَاعٍ، وَإِذَا تَلَقَّانِي بِذِرَاعٍ تَلَقَّيْتُهُ بِبَاعٍ، وَإِذَا تَلَقَّانِي بِبَاعٍ، جِئْتُهُ أَوْ أَتَيْتُهُ بِأَسْرَعَ». [مسلم ٢٦٧٥].

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا أَوْ أَزِيدُ، وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ مِثْلُهَا أَوْ أَغْفِرُ، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا، تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا، تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي، أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً، وَمَنْ لَقِيَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطِيئَةً لا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا، لَقِيتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً». [مسلم ٢٦٨٧].

قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الْخَطَّابِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَوْلُهُ: «إِذَا تَقَرَّبَ الْعَبْدُ إِلَيَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا»: هَذَا مَثَلٌ وَمَعْنَاهُ حُسْنُ الْقَبُولِ وَمُضَاعَفَةُ الثَّوَابِ عَلَى قَدْرِ الْعَمَلِ الَّذِي يَتَقَرَّبُ...

وعَنْ عُبَادَةَ بن الصامت رضي الله عنه قَالَ: أَشْهَدُ لَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «خَمْسُ صَلَوَاتٍ كَتَبَهُنَّ اللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ؛ مَنْ جَاءَ بِهِنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَمْ يُضَيِّعْ مِنْهُنَّ شَيْئًا، اسْتِخْفَافًا بِحَقِّهِنَّ؛ كَانَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ. وَمَنْ لَمْ يَأْتِ بِهِنَّ؛ لَمْ يَكُنْ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ وَإِنْ شَاءَ رَحِمَهُ» [أبو داود ١٤٢٢ وصححه الألباني].

وعَنْ سَلَمَةَ بْنِ نُعَيْمٍ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ لَقِيَ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ. قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ». [أحمد ١٨٢٨٤ وصححه الألباني].

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.



من هدي رسول الله ﷺ

طيب النفس من نعم الله تبارك وتعالى

عن معاذ بن عبد الله بن خبيب الجهني يحدث عن أبيه عن عمه عبيدة بن عبد الحي أن رسول الله ﷺ خرج عليهم وعليه أَثَرُ غُسلٍ، وَهو طَيبُ النَّفس، فَظَنَنا أَنَّهُ أَلَمَّ بأهله، فقُلنا: يا رسولَ الله نَراكَ طَيِّبَ النَّفس؟ قال: «أَجَل، والحَمدُ لله»، ثم ذُكر الغنَى، فقال: رسول الله ﷺ: «إِنَّهُ لا بَأسَ بالغنَى لِمن اتَّقى، والصِّحَةُ لِمَن اتقى خَيْرُ مِن الغنَى، وطِيبُ النَّفسِ مِن النِّعَم». [أحمد في المسند والبخاري في الأدب المفرد، وصححه الألباني].

من نور كتاب الله

للفقراء أقارب الغني حقوق

قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٣٧) فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[الروم: ٣٧-٣٨].

من فضائل الصحابة

عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه أَنَّ عَبْدًا لِحَاطِبٍ جَاءَ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- يَشْكُو حَاطِبًا؛ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَيَدْخُلَنَّ حَاطِبٌ النَّارَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: «كَذَبْتَ لاَ يَدْخُلُهَا؛ فَإِنَّهُ شَهِدَ بَدْرًا وَالْحُدَيْبِيَةَ» [مسلم ٢٤٩٥].

من دلائل النبوة

الأرض تلفظ من كذب على النبي ﷺ

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلًا كَانَ يَكْتُبُ لِلنَّبِيِّ ﷺ... فَارْتَدَّ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَنِ الإِسْلَامِ وَلَحِقَ بِالْمُشْرِكِينَ، وَقَالَ: أَنَا أَعْلَمُكُمْ لِمُحَمَّدٍ، إِنْ كُنْتُ لَأَكْتُبُ كَيْفَ شِئْتُ فَمَاتَ ذَلِكَ الرَّجُلُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ الأَرْضَ لاَ تَقْبَلُهُ». قَالَ أَنَسٌ: فَحَدَّثَنِي أَبُو طَلْحَةَ أَنَّهُ أَتَى الأَرْضَ الَّتِي مَاتَ فِيهَا فَوَجَدَهُ مَنْبُوذًا، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: مَا شَأْنُ هَذَا الرَّجُلِ؟ قَالُوا: دَفَنَّاهُ مِرارًا فَلَمْ تَقْبَلْهُ الأَرْضُ. [رواه البيهقي في السنن الصغرى، وصححه الألباني].

من غريب الحديث

(فخذ): «لَمَّا نَزَلت ﴿وأَنْذِرْ عَشِيرتَكَ الأَقْرَبِين﴾ بَات يُفَخِّذ عَشِيرتَه. أي يُناديهم فَخِذًا فَخِذاً، وهُم أقْرَب العَشِيرة إليه. وقد تكرر ذكر الفَخِذ في الحديث. وأوّل العَشِيرة الشَّعْب، ثم القَبِيلة، ثم الفَصِيلة، ثم العِمَارة، ثم البَطْن، ثم الفَخِذ. كذا قال الجوهري.

[غريب الحديث لابن الأثير].

حكم ومواعظ

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «كنا إذا فقدنا الأخ أتيناه، فإن كان مريضًا كانت عيادة، وإن كان مشغولاً كان عونًا، وإن كان غير ذلك كانت زيارة».

قال الشبلي: «من ركن إلى الدنيا أحرقته بنارها، فصار رمادًا تذروه الرياح، ومن ركن إلى الآخرة أحرقته بنورها؛ فصار سبيكة ذهب يُنتفع به».



أحاديث باطلة لها آثار سيئة

«ما من أحد يصوم أول خميس من رجب، ثم يصلي فيما بين العشاء والعتمة اثنتي عشرة ركعة، يفصل بين كل ركعتين بتسليمة، يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب مرة، وإنا أنزلناه في ليلة القدر ثلاث مرات، وقل هو الله أحد اثنتي عشرة مرة....».

حديث باطل. لم يصح في فضل رجب ولا صيامه ولا العمرة فيه شيء عن رسول الله ﷺ إلا إنه من الأشهر الحرم.

من جوامع الدعاء

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان من دعاء النبي ﷺ «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ». [البخاري في الأدب المفرد (١ / ٢٣٤) وصححه الألباني].

من أقوال السلف

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة».

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «لا يكون الرجل عالمًا حتى لا يحسد مَن فوقه، ولا يَحقر من دونه، ولا يبتغي بعلمه ثمنًا».

ما أخذه الغرب من المسلمين

علم الفلك

كان للمسلمين السبق في تحديد السنة الشمسية؛ فقد حددها أبو عبد الله محمد بن جابر الكتاني (٢٣٥ هـ - ٣١٧ هـ) تحديدًا دقيقًا بـ٣٦٥ يومًا، و٥ ساعات و٤٦ دقيقة، و٣٢ ثانية.

وسبق عبد الرحمن الخازن (٥٥٠ هـ) نيوتن في الجاذبية؛ حيث قال: إن للأرض قوة جاذبة على جميع جزئيات الأجسام). وأفاد من أبحاثه عن الكثافة وضغط الهواء (تورشيلي) وأخذ عنه نللينو الإيطالي كثير من المعلومات الفلكية.

ما أخذه المسلمون من الغرب: حصر الدين في دور العبادة فقط

نفرت النصارى في العصور الوسطى قبل عصر النهضة العلمية في أوروبا من الكنيسة ورجال الدين؛ بسبب إقحام الكنيسة نفسها في تفسير الظواهر العلمية باسم الدين، وعدم الرجوع للمتخصصين من العلماء؛ فوقعت في أخطاء، فرُميت بالجهل والتخلف. فقامت الثورة على الكنيسة وحُصر دورها. وتسرب ذلك إلى بعض المسلمين المهزومين، وظنوا أنه لا تقدم للمسلمين إلا إذا نحَّوْا الإسلام جانبًا وحصروه في المسجد فقط.

والإسلام لم يعق نهضة المسلمين الأوائل عن تقدمهم وسموهم العلمي والأخلاقي، إنما تخلُّفنا الآن بسبب حصر الإسلام في المسجد فقط..

قواعد ذهبية في توحيد رب البرية

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «وَالْعَبْدُ كُلَّمَا كَانَ أَذَلَّ لِلَّهِ وَأَعْظَمَ افْتِقَارًا إلَيْهِ وَخُضُوعًا لَهُ: كَانَ أَقْرَبَ إلَيْهِ، وَأَعَزَّ لَهُ، وَأَعْظَمَ لِقَدْرِهِ، فَأَسْعَدُ الْخَلْقِ: أَعْظَمُهُمْ عُبُودِيَّةً لِلَّهِ. وَأَمَّا الْمَخْلُوقُ فَكَمَا قِيلَ: احْتَجْ إلَى مَنْ شِئْتَ تَكُنْ أَسِيرَهُ، وَاسْتَغْنِ عَمَّنْ شِئْتَ تَكُنْ نَظِيرَهُ، وَأَحْسِنْ إلَى مَنْ شِئْتَ تَكُنْ أَمِيرَهُ». [مجموع الفتاوى ٢ / ١٤٨].





الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد:

فمن قرائن التخصيص المنفصلة: التخصيص بالمفهوم، وهو ما دل عليه اللفظ لا في محل النطق.

وهو نوعان: مفهوم الموافقة: وهو ما يكون مدلول اللفظ في محل السكوت موافقًا لمدلوله في محل النطق، وتكلمنا عنه في العدد السابق.

النوع الثاني: مفهوم المخالفة: وهو ما يكون مدلول اللفظ في محل السكوت مخالفًا لمدلوله في محل النطق؛ فيكون المسكوت عنه مخالفًا للمذكور في الحكم إثباتًا ونفيًا، فيثبت للمسكوت عنه نقيض حكم المنطوق به، ويسمى «دليل الخطاب»؛ لأن دليله من جنس الخطاب، أو لأن الخطاب دالّ عليه.

مثال ذلك: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ [النساء: ٢٥].

فإن تخصيص جواز نكاح الإماء بعدم الطول يدل على أن واجد الطول (الغنى والسعة) لا يجوز له نكاح الإماء.

وتخصيص (الإماء) المؤمنات بجواز النكاح عند عدم الطول يدل على أن عادم الطول لا يباح له نكاح الإماء الكوافر.

ففي الآية مفهومان (للمخالفة): أحدهما: أنه لا ينكح إلا أمَة مؤمنة، وثانيهما: أن واجد الطول لا يجوز له نكاح الأمَة.

مثال آخر: في تحديد أنصبة زكاة الماشية، قال النبي ﷺ: «وفي سائمة الغنم في كل أربعين شاةً شاةٌ...» [مسند أحمد، وهو في «صحيح الجامع»]، فإن مفهوم المخالفة يدل على نفي الحكم عن غير السائمة (السائمة هي التي ترعى بنفسها لا تُعلف).

[المدخل إلى مذهب أحمد ١ / ١٣٦- ١٣٧، إرشاد الفحول ١ / ٣٨١].

حجية مفهوم المخالفة

مفهوم المخالفة حجة، عمل به الصحابة، وأقرَّه النبي ﷺ، فعن يعلى بن أمية قال: قلت لعمر بن الخطاب: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [النساء: ١٠١]، فقد أمن الناس، فقال: لقد عجبتُ مما عجبتَ منه، فسألتُ رسول الله ﷺ عن ذلك، فقال: «صدقة تصدق الله بها عليكم؛ فاقبلوا صدقته».

[مسلم ٦٨٦].

فالآية تدل على أن قصر الصلاة في السفر يكون من أجل الخوف، ومفهوم المخالفة أن المسافر لا يقصر الصلاة إذا كان آمنًا، ولم ينكر النبي ﷺ على عمر العمل بمفهوم المخالفة، وإنما بيَّن له أن مفهوم المخالفة لا يُعمل به هنا في هذه الآية. [أصول الفقه على منهج أهل الحديث: ١ / ١٠٤].

قال ابن قدامة: «وهذا حجة (مفهوم المخالفة) في قوله: إمامنا (أحمد) والشافعي ومالك وأكثر المتكلمين، وقالت طائفة منهم أبو حنيفة: لا دلالة له... ثم ذكر ابن قدامة أدلتهم وناقشها، ثم قال: ولنا دليلان (أي على حُجيته): أحدهما: أن فصحاء أهل اللغة يفهمون من تعليق الحكم على شرطٍ أو وصفٍ انتفاءَ الحكم بدونه، ثم ذكر حديث يعلى بن أمية مع عمر بن الخطاب رضي الله عنهما...

- الدليل الثاني: أن تخصيص الشيء بالذكر لا بد له من فائدة، فإن استوت السائمة والمعلوفة (أي في الزكاة) فلِمَ خصَّ السائمة بالذكر من عموم الحكم، والحاجة إلى البيان شاملة للقسمين، بل لو قال في الغنم الزكاة؛ لكان أخصر في اللفظ وأعم في بيان الحكم، فالتطويل لغير فائدة يكون لكنة في الكلام وعيًا..». [روضة الناظر ١ / ٢٦٦ - ٢٦٧].

٢- وقال الزركشي في «البحر المحيط»: «وقال مالك: إن دليل الخطاب (مفهوم المخالفة) لا يُخصُّ به العموم، بل يكون العموم مقدمًا، واستدل بأن العموم نطق، ودليل الخطاب مفهوم من النطق، فكان النطق أولى».

ثم قال الزركشي: «ولنا إجماعنا (الشافعية) نحن وأصحاب مالك على القول بدليل الخطاب، فجاز التخصيص به كغيره من الأدلة». [البحر المحيط ٤ / ٢٣٨].

في فهم النص



إعداد/ متولي البراجيلي

أمثلة على مفهوم المخالفة (دليل الخطاب)

المثال الأول: بوَّب الإمام البخاري في الصحيح: «باب إذا كانوا أكثر من ثلاثة فلا بأس بالمسارَّة والمناجاة».

وأورد تحته حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى رجلان دون الآخر، حتى تختلطوا بالناس؛ أجل أن يحزنه». [متفق عليه].

وقد استدل البخاري بهذا الحديث على جواز المناجاة عندما يكونون أكثر من ثلاثة بتقرير مفهوم المخالفة، سواء مفهوم العدد في قوله: «إذا كنتم ثلاثة»، ومفهوم الغاية في قوله: «حتى تختلطوا بالناس».

قال الحافظ ابن حجر: ويؤخذ منه (الحديث) أنهم إذا كانوا أربعة لم يمتنع تناجي اثنين؛ لإمكان أن يتناجى الاثنان الآخران. [فتح الباري: ١١ / ٨٣].

قلت: وفي هذا تقرير لمفهوم المخالفة المستفاد من منطوق الحديث.

المثال الثاني: في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾ [المائدة: ٩٥].

في الآية مفهوما مخالفة: الأول أنهم إذا حلُّوا من إحرامهم جاز لهم قتل الصيد، وهذا المفهوم مصرَّح به في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ [المائدة: ٢]، يعني إن شئتم.

المفهوم الثاني: أن من قتله غير متعمد فليس عليه الجزاء.

والجمهور على أن المخطئ ليس عليه عقوبة، إنما عليه الجزاء، وطائفة من أهل العلم يرون تخصيص الجزاء بالمتعمد، وهو ظاهر الآية.

ورجَّح السعدي - رحمه الله - في التفسير القول الثاني، فقال: «والصحيح ما صرَّحت به الآية أنه لا جزاء على غير المتعمد، كما لا إثم عليه». [تفسير السعدي ١ / ٢٤٣، أضواء البيان للشنقيطي ٦ / ١٧٧].

المثال الثالث: في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

فالآية تدل بمفهوم المخالفة على أن ما اتفقوا عليه، ولم يتنازعوا فيه حق؛ لأنها ردت المتنازع فيه إلى الله والرسول ﷺ، ففُهم من ذلك أن المتفق عليه حق.

لذلك فمن أهل العلم من استدل على حجية الإجماع من مفهوم المخالفة بهذه الآية.

المثال الرابع: حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «مطل الغني ظلم». [متفق عليه]. والمراد بالمطل تأخير ما استُحق أداؤه بغير عذر... والمعنى أنه يحرم على الغني القادر أن يماطل بالدَّيْن بعد استحقاقه، بخلاف العاجز. [فتح الباري ٤ / ٤٦٥].

وفي الحديث ما يدل بمفهوم المخالفة على أن مطل غير الغني، وهو العاجز عن السداد، لا يكون ظلمًا.

المثال الخامس: حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ وقد سُئل عن الماء يكون في الفلاة من الأرض، وما ينوبه من السباع والدواب، فقال: «إذا كان الماء قلتين لم يحمل الخبث». [أبو داود ٦٣، وصححه الألباني] وفي رواية: «إذا بلغ الماء قلتين لم ينجسه شيء» [ابن ماجه ٥١٧ وصححه الألباني].

فالحديث منطوقه خاص بما بلغ القلتين، ولا تعرُّض فيه لما نقص عن القلتين بالذكر، ولكن مفهوم المخالفة يدل على أن كل ماء نقص عن القلتين يحمل الخبث، أي يتنجس بملاقاة النجاسات، وإن لم يتغير لونه، أو طعمه أو رائحته، سواء كان هذا الماء راكدًا أم جاريًا، وسواء كان في إناء أم في بئر ونحوها.

وفي الحديث مفهوم آخر، وهو نجاسة سؤر السباع؛ إذ لولا نجاستها لم يكن لشرط القلتين فائدة، ولكان التقييد بها ضائعًا. (ومسألة سؤر السباع وهل هو طاهر أم نجس؟ فيها خلاف بين أهل العلم).

فائدة

اختلف أهل العلم في صحة هذا الحديث، فقال جماعة: لم يصح، وجماعة قائلون بصحته، وصنَّف (الحافظ العلائي) فيه جزءًا خلص فيه إلى ثبوت الحديث، وأورده الشيخ الألباني في «إرواء الغليل» وقال بصحته، وكذلك في السلسلة الصحيحة.

- والقلتان خمس قِرَب تقريبًا، بما يعادل مائة وستين لترًا تقريبًا.

أقسام مفهوم المخالفة (دليل الخطاب)

لمفهوم المخالفة أقسام (أنواع) كثيرة، تصل إلى ستة أقسام:

١- مفهوم الصفة

وبدأ المصنفون به؛ لأنه رأس المفاهيم، قال أبو المعالي: «لو عبر مُعبِّر عن جميع المفاهيم بالصفة لكان ذلك متجهًا». ويقصد بالصفة عند الأصوليين ما هو أعم من النعت عند النحاة، فالمراد بالصفة - هنا - مطلق اللفظ الذي يَرِد مقيداً للفظ آخر، فيشمل النعت، والحال، والجار والمجرور، والظرف، والتمييز.

ومثال ذلك: قوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢]، منطوق الآية: وجوب تحرير رقبة مؤمنة، ومفهوم المخالفة: منع تحرير رقبة كافرة.

- وأيضًا قول النبي ﷺ:«من باع نخلاً مؤبرًا فثمرتها للبائع...». [متفق عليه].

منطوق الحديث: من باع نخله مؤبرًا فثمرته له.

مفهوم المخالفة: من باع نخله قبل التأبير فليس له شيء من ثمره.

٢- مفهوم الشرط

هو أن يدل اللفظ المقيد بشرط على ثبوت نقيضه عند انتفاء الشرط.

مثاله: قوله تعالى: ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾ [النساء: ٤].

منطوق الآية: إباحة ما طابت به نفس الزوجة من مهرها.

مفهوم المخالفة : حرمة ذلك بغير طيب نفس منها.

المثال الثاني: حديث النبي ﷺ عندما سألته أم سليم رضي الله عنها: أعلى المرأة غسل يا رسول الله إذا هي احتلمت؟ قال: «نعم، إذا رأت الماء». [متفق عليه].

منطوق الحديث: أنها تغتسل إذا احتلمت.

مفهوم المخالفة: أنها إذا لم تر الماء؛ فلا غسل عليها.

٣- مفهوم الغاية

هو أن يدل اللفظ المقيد بغاية على نقيض حكمه عند انتفاء تلك الغاية، بإحدى أدوات الغاية (إلى، حتى، اللام)، مثاله: قوله تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الحجرات: ٩].

منطوق الآية: وجوب قتال الفئة الباغية، حتى تفيء.

مفهوم المخالفة: ترك قتالها بعد أن تفيء.

المثال الثاني: حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: «لا زكاة في مال حتى يحول عليه الحول». [أبو داود ١٥٧٥ وصححه الألباني].

منطوق الحديث: نفي وجوب الزكاة قبل أن يحول الحول.

مفهوم المخالفة: وجوب الزكاة عند تمام الحول.

المثال الثالث: قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ [البقرة: ١٨٧].

منطوق الآية: يدل على وجوب استمرار الصيام من طلوع الفجر إلى الليل.

مفهوم المخالفة: أنه لا يجوز صيام الليل، كما لو قال: لا تصوموا بالليل.

٤- مفهوم الحصر بـ(إنما)

هو إثبات الحكم لشيء بصيغة، ونفيه عما عداه بمفهوم تلك الصيغة.

وهو قد يقع بغير (إنما)، لكن هذا الذي يصح اندراجه منها تحت (أنواع المفهوم).

مثاله: قوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات». [البخاري ١].

منطوق الحديث: اعتبار الأعمال بالنيات.

مفهوم المخالفة: عدم اعتبارها بغير النيات.

قال الشوكاني: وقد وقع الخلاف هل هو منطوق أو مفهوم، والحق أنه مفهوم، وأنه معمول به كما يقتضيه لسان العرب. [إرشاد الفحول ١ / ٣٨٩].

٥- مفهوم العدد

هو أن يدل اللفظ المقيد بعددٍ على نقيض حكمه عند انتفاء ذلك العدد.

مثاله: قوله تعالى: ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾ [المائدة: ٨٩].

منطوق الآية: وجوب صيام ثلاثة أيام.

مفهوم المخالفة: ما نقص عن ذلك أو زاد عليه.

المثال الثاني: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾ [النور: ٤].

منطوق الآية: اجلدوا من قذف المحصنات ثمانين جلدة.

مفهوم المخالفة: عدم إجزاء ما نقص عن الثمانين، ومنع ما زاد عليها.

٦- مفهوم اللقب

هو دلالة اللفظ الذي عُلِّق الحكم فيه بالاسم على انتفاء ذلك الحكم عن غيره.

مثاله: قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٩].

منطوق الآية: محمد ﷺ رسول الله.

مفهوم المخالفة: غير محمد ﷺ ليس رسول الله.

- وقوله ﷺ: «إن في الحجم (الحجامة) شفاء». [صحيح مسلم].

منطوق الحديث: أن الشفاء يكون بالحجامة.

مفهوم المخالفة: ليس في غير الحجامة شفاء.

ومن أهل العلم من جعل مفهوم التقسيم بدلاً من مفهوم الحصر، ومفهوم التقسيم: هو ما يُفهم من تقسيم المحكوم عليه إلى قسمين فأكثر، وتخصيص كل منهما بحكم.

مثال ذلك: قوله ﷺ: «الثيب أحق بنفسها، والبكر تستأذن». [مسلم ١٤٢١].

منطوق الحديث: أن الثيب أحق بنفسها (بمعنى أنها تُسأل وتُستشار)، أما البكر فيكفي فقط استئذانها.

مفهوم المخالفة: أن كل قسم يختص بحكمه، ولا يشارك الآخر فيه، فالثيب أحق بنفسها؛ فتكون البكر ليست أحق بنفسها من وليها، والبكر تُستأذن، فيدل على أن الثيب لا يكفي منها الإذن، بل لا بد من التصريح.

والأنواع الخمسة الأولى حجة عند جمهور العلماء، مع اختلافهم في قوة كل نوع من أنواعه، واختلفوا في مفهوم اللقب، وهو ليس بحجة على الصحيح عند جمهور العلماء. [تيسير علم أصول الفقه للجديع ٣ / ٤٦- ٤٨، أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله ص٢٦٠- ٢٦٣، المدخل إلى مذهب أحمد ١ / ١٣٧- ١٣٨، شرح الكوكب المنير ٣ / ٤٩٧- ٥١١، خلاصة الأصول للفوزان ص٢٥، ٢٦].

ومن أهل العلم من زاد على هذه الأقسام (الأنواع) الستة أنواعًا أخرى، كالشوكاني في إرشاد الفحول، فزاد على الستة أقساماً أربعة أخرى، وهي:

١- مفهوم العلة

وهو تعليق الحكم بالعلة، نحو حرمت الخمر لإسكارها، والفرق بين هذا النوع (مفهوم العلة)، والنوع الأول (مفهوم الصفة)؛ أن الصفة قد تكون علة كالإسكار، وقد لا تكون علة، بل متممة كالسوم، فإن الغنم هي العلة، والسوم متمم لها.

٢- مفهوم الحال

أي تقييد الخطاب بالحال، وقد عرفتَ أنه من جملة مفاهيم الصفة؛ لأن المراد الصفة المعنوية لا النعت، وإنما أفردناه بالذكر تكميلاً للفائدة، قال ابن السمعاني: ولم يذكره المتأخرون لرجوعه إلى الصفة، وقد ذكره سليم الرازي في التقريب وابن فورك.

٣- مفهوم الزمان

كقوله تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ﴾ [البقرة: ١٩٧].

وقوله: ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾ [الجمعة: ٩].

وهو حجة عند الشافعي، كما نقله الغزالي وشيخه، وهو في التحقيق داخل في مفهوم الصفة، باعتبار متعلق الظرف المقدر، كما تقرر في العربية.

٤- مفهوم المكان

نحو جلست أمام زيد، وهو حجة عند الشافعي، كما نقله الغزالي وفخر الدين الرازي، ومن ذلك لو قال: «بع في مكان كذا»، فإنه يتعين، وهو أيضًا راجع إلى مفهوم الصفة.

[إرشاد الفحول: ١ / ٣٨٤ - ٣٩٠ بتصرف].

هذا وتقسيم جمهور الأصوليين أقسام مفهوم المخالفة إلى ستة أقسام هو الراجح، وهو أدق، وما زاده الشوكاني يرجع إليها، كما أشار هو في مفهوم الحال والزمان، والمكان؛ إذ إنهم يُدْخلونها في مفهوم الصفة، كما في «شرح الكوكب المنير»؛ فإنه أدخل في مفهوم الصفة: مفهوم العلة، مفهوم الزمان، والمكان، والحال. [شرح الكوكب المنير لابن النجار ٣ / ٥٠١ - ٥٠٢].

مسألة: تحقيق مقتضى مفهوم المخالفة (دليل الخطاب)

وهل يدل على نفي الحكم عما عدا المنطوق به مطلقًا، سواء كان من جنس المثبت أو لم يكن؟ أو تختص دلالته بما إذا كان من جنسه؟

في المثال المذكور - قبل ذلك - أن في الغنم السائمة الزكاة. فبحسب مفهوم المخالفة نُفيت الزكاة عن الغنم المعلوفة، فهل تنفى الزكاة أيضًا عن باقي الأنعام من الإبل والبقر إذا عُلفت؟

اختلف أهل العلم في ذلك على وجهين، حكاهما الشوكاني، ورجَّح النفي عن الغنم المعلوفة فقط. [إرشاد الفحول ١ / ٣٨٢].

والجمهور على أن الإبل والبقر المعلوفة لا زكاة فيها أيضًا، أما سائمة الإبل ففي الحديث قال رسول الله ﷺ: «في كل سائمة إبل في أربعين بنت لبون...». [أبو داود ١٥٧٧ وصححه الألباني].

وصح عن جابر رضي الله عنه أنه قال: لا صدقة في المثيرة (والمثيرة: بقر الحرث). [أخرجه ابن أبي شيبة ٩٩٦١، وسنده صحيح كما في تمام المنة للعزازي].

وللحديث بقية إن شاء الله. والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الإجازة الصيفية ومشكلات الشباب

إعداد/ جمال عبدالرحمن

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فإن الله تعالى العزيز الرحيم أمر المسلمين بأن يقوا أنفسهم وأهليهم نارًا وقودها الناس والحجارة، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم:٦]، وليست الوقاية من نار الله الموقدة بتجهيز أمتعة واقية من حرارة هذه النار، وإنما بتجهيز الأعمال الصالحة، وترك الأعمال السيئة، وبذلك يقي الإنسان نفسه من غضب الجبار سبحانه وتعالى.

ويكون ذلك بصلاح العقيدة وسلامة المعتقد، فتكون عقيدة المسلم محققة لركني التوحيد: توحيد المرسِل، وهو الله عز وجل، وذلك بشهادة أن لا إله إلا الله، وتوحيد متابعة المرسَل، أي الرسول ﷺ، وذلك بشهادة أن محمدًا رسول الله، والعمل بمقتضى هاتين الشهادتين، ومن هنا تصلح العقيدة والمعتقد، وتستقيم متابعة الرسول ﷺ، وعلى كل مسلم بعد ذلك أن يعلم أن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق ليعبدوه، وبالإلهية يفردوه، ولهذا لا ينبغي للمسلم أن تكون حياته لهوًا ولعبًا، ورغباتٍ وشهواتٍ، ولهثًا وراء كل جديد، وإن كان غير مفيد، قال الله تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [مريم: ٤٦].

وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩].

وكما أمرنا الله تعالى بوقاية أنفسنا من النار، فهذه الوقاية مطلوبة منا لغيرنا، ونَخُصُّ من هذا الغير شباب المسلمين، فالشباب عماد كل أمة، وإذا ضل الشباب وضعف؛ ضعفت الأمة، وهذا الذي يسعى إليه أعداء الإسلام من صرف الشباب عن الهدف الذي يحيى من أجله، وحَرْفه عن جادة الأمر، فلا يعرف في دنياه إلا كل لذة وشهوة وجنس ومتعة، بل وتكون هي هدفه الحقيقي، الذي إذا تحقق له ظن أنه نال كل شيء، وإذا فقده فقد كل شيء، فمرحلة الشباب لأهميتها كانت هي بداية مرحلة التكليف في شرع الخبير اللطيف، فهي مرحلة افتراق الطريق بعد أن كان الشاب صغيرًا غضًا لا يستطيع أن يفصل في أموره بصورة دقيقة، ثم ها هو ذا يكبر ويقف على مفترق الطرق، يحتاج من يأخذ بيده ليوجهه إلى الاختيار الصحيح الذي يوصله إلى جنة الله تعالى ورضوانه.

ونحن في هذه الأيام إذ تُقبل علينا إجازة صيفية عريضة، ينتظرها أعداء الإسلام بالبرامج الهابطة، والمغريات والملاهي، فضلاً عن الأطروحات الهدامة والأفكار السامة،

> نقول لهؤلاء الشباب: إنك جئت من عالم الأجنة والأرحام، إلى دنيا انقسم فيها الناس إلى مسلمين وكفار، فجئت لتعبد الله الواحد القهار

والاقتراحات المنحرفة التي تُبث على الشباب الخاوي من العلم والمعرفة، فلا يجد إلا الوقوع في مهاوي تلك الأفكار، التي لا تسمن ولا تغني من جوع، ولا يجد الشباب بعدها إلا ضياع الدنيا والدين، فلا هو أفاد نفسه، ولا نفع مجتمعه!!

جوانب معاناة الشباب

فإذا أردنا أن ننهض بشباب الأمة فعلينا أن ننظر إلى الأمراض المتفشية فيه، والأدواء التي تحتاج إلى علاج.

وأول هذه الأدواء المستفحلة المتغلغلة في الشباب:

أولاً: غياب الهدف

فكثير من الشباب لا يدري لماذا وُجد في هذه الدنيا، وما المطلوب منه فيها، لا يعرف إلى أين يتجه، ولا كيف يسير، ومن هنا بدأ يردد الكلمات الفاجرة الملحدة التي نَظَمَها له العلمانيون واللادينيون، وأنشدها المغنون، وصار الشباب يرددها بلا وعي ولا عقل، كما يقولون: جئت لا أدري من أين جئت؟ ولكني أتيت!!!

فنريد أن نعلم هؤلاء الشباب أنه من صلب أبيه جاء ليحقق الميثاق الذي أخذه الله عليهم وهم في صلب آبائهم أن الله ربنا وخالقنا ورازقنا ومحيينا ومميتنا، وباعثنا يوم القيامة لا ريب فيه، ومحاسبنا على القليل والكثير والفتيل والقطمير، فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرًا يره.

نريد أن نقول لهؤلاء الشباب: إنك جئت من عالم الأجنة والأرحام، إلى دنيا انقسم فيها الناس إلى مسلمين وكفار، فجئت لتعبد الله الواحد القهار، الذي قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٧].

نقول لهؤلاء الشباب: إنك جئت إلى الدنيا لتعلم أن الله لم يخلقك عبثًا، ولا لتعيش معيشة الحيوان فتكون من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ [محمد: ١٢].

نقول لهؤلاء الشباب: إنك جئت لتكلَّف بإقامة العبودية لله في أرضه، وقد كرمك الله من بين سائر المخلوقات، فقال عز وجل: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ [الإسراء: ٧٠]، فإذا كان الله تعالى كرمك، وجعل لك شأنًا بين المخلوقات، وسخّر لك الكائنات، فهل ترضى أولاً: أن تعيش في أوحال الرذيلة والمعصية والجهل المزري الذي يصل بصاحبه إلى النار؟ ثم ثانيًا هل ترضى أن لا ترد الجميل لمن قدّم لك كل جميل وتحسن كما أحسن الله إليك، ولا تبغ الفساد في الأرض؟!!

أيها الشاب؛ آن لك أن تعرف ما لك وما عليك، وأن تدقق النظر في حق الله على العباد، وحق العباد على الله إن هم أطاعوه، ومصيرهم إن هم خالفوه، آن الأوان لكي ينتفع بك ومنك أهل الإسلام وأهل الدنيا، ولا يكون أحدنا يعيش عالة على غيره، لا فائدة فيه ولا خير يُرجى منه، بل يرجى منه الشر والضرر؟

أيها الشاب: عد إلى ربك، إلى خالقك، إلى رازقك، كن له شاكرًا عابدًا، ذاكرًا ساجدًا.

ثانيا: الفراغ العلمي والفكري

لا يوجد عند الشباب ما يشغلهم في حياتهم سوى إكمال الدراسة، وتحصيل الوظيفة، ثم الزواج الذي لا يمكن أن يتم إلا بعد انتهاء الدراسة، ولو كانت الفتن تحيط به من كل

جانب، ولو كان الاختلاط بين الشباب والفتيات من أمامهم ومن خلفهم، وعن أيمانهم وعن شمائلهم.

كذلك يبحث الشاب عن مصدر العيشة الهنية، دون أي تدقيق في حِل أو حرمة، في مأكله ومشربه، يبحث الشاب كيف يحصل على عمل يرتدي فيه أفخر الملابس، وإن كان جالسًا معطلاً لا يفيد الأمة بشيء.

ليس عند كثير من شباب هذه المرحلة فكر ولا وعي، ولا خطة رشد يدعم بها أهل بلده، وينفع بها بني جلدته، ليس عند الشاب دراسة أو بحث ونقد، وطرح يطرحه ليشارك في سعادة أهله ومن حوله، بل ترى غالبية الشباب يجلس منحنيًا أمام فتاة، ويبتسم لها، ما لا يفعله مع أبيه وأمه وأهله وعشيرته.

ينسج لها القصص والخيالات ليحظى بحديث معها يتلذذ به تلذذ العاشق الولهان، شباب لا يعرف سياسة الأمور، ولا بناء القيم والمبادئ، ولا الوصول إلى الأهداف، فهل لهذا خُلق الشاب المسلم؟!

وقد خدعه الكثيرون من فقراء العلم والتربية والتوجيه، فقالوا: الجيل الصاعد، وزهرة الشباب، ولم يصدُقوا معه، في أن مثل هذا النوع من الشباب أداة هدم لمجتمعه ورقعة فقر زائدة في بلده، لا تنكسر بهم شدائد، ولا فائدة من وراءهم ولا عائد.

وخدعوه أيضًا فقالوا: تطوير التعليم وتحديثه، وإنما هو في الأصل تأصيل الجهل وتقنينه، مما تسبب في تدني المستوى العلمي، والله تعالى يقول: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُو الأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩].

إن شباب محمد ﷺ كان يعلمهم الإيمان قبل أن يعلمهم القرآن، فلما تعلموا القرآن ازدادوا به إيمانًا.

وكانوا يتعلمون مغازي رسول الله ﷺ كما يتعلمون السورة من القرآن، وكانوا يتفقهون في دينهم ويتعلمون أحكامه، ويتعلمون الأخلاق والفضائل، فخرجوا من مستوى رعاة الغنم إلى

> **يبحث بعض الشاب عن مصدر العيشة الهنية، دون أي تدقيق في حِل أو حرمة، في مأكله ومشربه، يبحث الشاب كيف يحصل على عمل يرتدي فيه أفخر الملابس، وإن كان جالسًا معطلاً لا يفيد الأمة بشيء**

قادة العالم وسادة الأمم، فما الذي قدمه هؤلاء المعاصرون وأصحاب الأطروحات لشباب أمة الإسلام، وما الذي استفاده العالم الإسلامي خاصة وعالم الدنيا عامة من شباب الإسلام الآن، هل فتحوا المغلق من الأمصار؟ هل زادت بهم رقعة أهل الإسلام أم قَلَّتْ؟ هل صاروا أغنياء الدنيا، أم هم العالم النامي الثالث، هل هم صناع الحضارات، أم هم عالة على أهل الصناعات؟!

ولا يزال يكابر العلمانيون ويتهمون الإسلام بأنه سبب التأخر، خابوا وخسروا.

ثالثًا: غياب القدوة

إن الله سبحانه وتعالى لما نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم، كان ذلك بسبب كفرهم وانحرافهم، فلما أراد سبحانه أن يُخرجهم من الظلمات إلى النور؛ أرسل إليهم رسولاً هو محمد ﷺ، ففتح به قلوبًا غلفًا، وأعينًا عميًا، وآذانًا صمًا، وجعله قدوة لمن اتبعه، فعلَّمهم الكتاب والحكمة، والفضيلة والرحمة، ودلَّهم على أسباب دخول الجنة والوقاية من النار.

وفي زمننا هذا غابت القدوة الصالحة التي تبني المجتمعات، وتأخذ بيد الشباب لتعيد لهذه الأمة مجدها، وتقدمها وسبقها، كما غاب أهل الحسبة الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويأخذون على يد الظالم، ويأطرونه على

> إن ترك الشباب تتجاذبه المحن والأهواء، ويسيّر دفته أهل البدع والأهواء، ويشغل وقته أهل السوء ورفقة الأشرار بدون توعية، ولا علم ولا هدى ولا كتاب منير؛ يؤدي بهم إلى مهاوي الردى، ويصبح الشباب فريسة سهلة للأعداء؛ فتتأخر به الأمة، ولا يُكشف به - بعد الله - غمة

الحق أطرًا، ولذلك فإن أمة يغيب فيها الإنكار على أهل المعاصي هي أمة مهددة بالضياع؛ لأن المعاصي سبب غضب الله عز وجل، وإذا غضب الله تعالى أوشك أن يعمَّ الناس بعقاب، ومن عقابه أن يورثهم الضنك والمعاناة. قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ [طه: ١٢٤].

رابعًا: المفهوم المغلوط للحرية

بعض الشباب وغيرهم يفهمون الحرية على أنه يمكن للإنسان أن يفعل ما يشاء، ولو كان حرامًا، ولو كان رقصًا وتبرجًا واختلاطًا محرمًا، وانكشاف عورات، وسبًّا وشتمًا وقذفًا وكراهية، في الوقت الذي لم يُترك فيه الحرية لأهل الحياء والعفة أن يتزيوا بالزي الشرعي، وصار عيبًا وتخلفًا وجمودًا أن يفعل الشاب المسلم والفتاة المسلمة ما يمليه عليه دينه وعقيدته.

إن الحرية في الإسلام هي أعلى أنواع الحريات، فبها يعيش كل إنسان آمنًا على نفسه وأهله، وهي حرية تكفل الراحة والاستقرار للناس، لا إزعاج فيها، ولا ظلم لأحد.

قال الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾ [محمد:٢].

مقترح لحل مشاكل الشباب

أ- اختيار بعض الكفاءات من المسلمين ممن يجمعون بين العلم الشرعي والآداب والتربية والتجربة في رعاية هؤلاء الشباب، ثم عقد الندوات بين هؤلاء الشباب وأساتذتهم من العلماء الشرعيين الربانيين؛ لمناقشة مشاكلهم، وصياغة الحلول لها في ظل الشريعة الغراء، فقد كان النبي ﷺ يجالس الشباب، ويسألهم عما يشكل عليهم في حياتهم، ويفنِّد لهم الشبهات والشهوات والفتن.

ب- إقناع هذا الشباب بأن العمل الحر من وسائل التنمية والرزق الحلال؛ لأن كل شاب الآن لا يعرف غير البحث عن وظيفة، ولبس ملابس نظيفة، والجلوس عاطلاً، وهو مقتنع بذلك أنه يعمل، وأنه موظف، فإن لم يتمكن من تحصيل مرتبه وافيًا بدأ يمد يده إلى أموال غيره، بكل وسائل الاحتيال.

جـ- وعلى المسئولين أن يوفروا لهم دعمًا للمشاريع الصغيرة، فقد كان عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنهما يتاجر في الجلود المدبوغة في السوق، والنبي ﷺ يمر عليه فيراه ويشجعه ويدعو له، ويقول: «اللهم بارك لعبد الله في صفقة يمينه» [أحمد ١٧٥٠، وصححه الألباني].

ومع أن عبد الله بن جعفر من أرحام النبي ﷺ إلا أن النبي ﷺ لم يشأ أن يجعله مرفهًا أو منعمًا، وإنما تركه ليعمل ويسعى على أمه وإخوته، وقد يأخذ الإنسان بسبب بسيط، ويجعل الله فيه خيرًا كثيرًا، ورزقًا وفيرًا، ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ١٧].

لكن ترك الشباب تتجاذبه المحن والأهواء، ويسيِّر دفته أهل البدع والأهواء، ويشغل وقته أهل السوء ورفقة الأشرار بدون توعية، ولا علم ولا هدى ولا كتاب منير، فهذا لا شك يؤدي بهم إلى مهاوي الردى، ويصبح الشباب فريسة سهلة للأعداء؛ فتتأخر به الأمة، ولا يُكشف به - بعد الله - غمة، فنسأل الله أن يرحم الشباب، ويقيّض له من يأخذ بيده إلى طريق الخير والصواب، والحمد لله رب العالمين.

والله من وراء القصد.



الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد ذهب أكثر من تكلم عن ودائع البنوك إلى أنها تُعتبر قرضًا، ويشيع بين آخرين أنها وديعة؛ حيث يقال: نحن لا نقرض البنك، وإنما نودع لديه، وذهب بعض من أراد أن يستحلّ فوائد البنوك إلى القول بأن هذه الفوائد تعتبر أجرًا لاستعمال النقود، أي إن الودائع تدخل تحت عقد الإجارة.

ولعل من المفيد أن نذكر ما يبين الفرق بين العقود الثلاثة، كما جاء في الفقه الإسلامي:

عقد القرض

عقد القرض ينقل الملكية للمقترض، وله أن يستهلك العين، ويتعهد برد المثل لا العين، والمقترض ضامن للقرض إذا تلف أو هلك أو ضاع، يستوي في هذا تفريطه وعدم تفريطه.

الوديعة

أما الوديعة فهي أمانة تُحفظ عند المستودَع، وإذا هلكت فإنما تهلك على صاحبها؛ لأن الملكية لا تنقل إلى المستودع، وليس له الانتفاع بها، ولذلك فهو غير ضامن لها، إلا إذا كان الهلاك أو الضياع بسببٍ منه.

الإجارة

والعقد الثالث - وهو الإجارة - لا ينقل الملكية للمستأجر، وإنما يعطيه حق الانتفاع مع بقاء العين لصاحبها، ويدفع أجرًا مقابل هذا الانتفاع، ولذلك يطلق على الإجارة: بيع المنافع؛ فتجوز إجارة كل عين يمكن أن يُنتفع بها منفعة مباحة، مع بقاء العين بحكم الأصل، ولا يجوز إجارة ما لا يمكن الانتفاع به مع بقاء عينه كالطعام، فلا يُنتفع به إلا باستهلاكه.

والإجارة عقدٌ على المنافع، فلا تجوز لاستيفاء عين واستهلاكها، ومثل الطعام النقود، فلا يمكن الانتفاع بها إلا بإنفاقها في الشراء أو غيره، أي باستهلاك العين، والعين المستأجرة أمانة في يد المستأجر إن تلفت بغير تفريط لم يضمنها.

تسمية ودائع البنوك بغير حقيقتها

في ضوء ما سبق يمكن القول بأن ودائع البنوك سُميت بغير حقيقتها؛ فهي ليست وديعة؛ لأن البنك لا يأخذها أمانة يحتفظ بعينها لتُرَد إلى أصحابها، وإنما يستهلكها في أعماله، ويلتزم برد المثل.

وهذا واضح في الودائع التي يدفع البنك عليها فوائد، فما كان ليدفع هذه الفوائد مقابل الاحتفاظ بالأمانات وردها إلى أصحابها.

أما الحسابات الجارية فمن عرف أعمال البنك أدرك أنها تستهلك نسبة كبيرة من أرصدة هذه الحسابات.

كما أن البنك في جميع الحالات ضامن لرد المثل، فلو كانت وديعة لما كان ضامنًا، ولما جاز له استهلاكها.

ومن الواضح الجلي أن ودائع البنوك لا تدخل

في باب الإجارة، ويكفي أن ننظر إلى طبيعة النقود، وإلى عملية الإيداع من حيث الملكية والضمان والاستهلاك.

ولم يبق إلا القرض، وهو ينطبق تمامًا على عقد الإيداع.

وإذا نظرنا إلى القانون نجد أن تشريعات معظم الدول العربية تعتبر هذه الودائع قرضًا، قال العلامة الأستاذ الدكتور عبد الرزاق السنهوري: «ويتميز القرض عن الوديعة في أن القرض ينقل ملكية الشيء المقترَض إلى المقترِض، على أن يرد مثله في نهاية القرض إلى المقرض، أما الوديعة فلا تنقل ملكية الشيء المودَع إلى المودَع عنده، بل يبقى ملكًا للمودِع ويسترده بالذات. هذا إلى أن المقترض ينتفع بمبلغ القرض بعد أن أصبح مالكًا له، أما المودَع عنده فلا ينتفع بالشيء المودع، بل يلتزم بحفظه حتى يرده إلى صاحبه.

ومع ذلك فقد يودع شخص عند آخر مبلغًا من النقود أو شيئًا آخر مما يهلك بالاستعمال، ويأذن له في استعماله، وهذا ما يسمى بالوديعة الناقصة.

وقد حسم التقنين المدني الجديد الخلاف في طبيعة الوديعة الناقصة، فكيَّفها بأنها قرض. تقول المادة (٧٢٦) مدني في هذا المعنى: إذا كانت الوديعة مبلغًا من النقود أو أي شيء آخر مما يهلك بالاستعمال، وكان المودَع عنده مأذونًا له في استعماله اعتُبر العقد قرضًا.

أما في فرنسا فالفقه مختلف في تكييف الودائع الناقصة، والرأي الغالب هو الرجوع إلى نية المتعاقدين، فإذا قصد صاحب النقود أن يتخلص من عناء حفظها بإيداعها عند الآخر؛ فالعقد وديعة، أما إن قصد الطرفان منفعة مَن تسلَّم النقود عن طريق استعمالها لمصلحته؛ فالعقد قرض، ويكون العقد قرضًا بوجه خاص إذا كان مَن تسلم النقود مَصْرِفًا». [الوسيط في شرح القانون المدني ٥ / ٤٢٨-٤٢٩].

وبعد حديثه عن صور مختلفة قال: «وقد يتخذ القرض صورًا مختلفة أخرى غير الصور المألوفة، من ذلك إيداع نقود في مصرف، فالعميل الذي أودع النقود هو المقرِض، والمصرف هو المقترض، وقد قدمنا أن هذه وديعة ناقصة، وتعتبر قرضًا». [الوسيط في شرح القانون المدني ٥ / ٤٣٥].

ويقول الدكتور علي جمال الدين عوض: «إذا نظرنا إلى الحالة الغالبة للوديعة المصرفية وجدناها قرضًا؛ لأن الوديعة تكون بقصد الحفظ، والمودَع لديه يقوم بخدمة للمودِع، في حين أنه في القرض يستخدم المقترض مال غيره في مصالحه الخاصة.

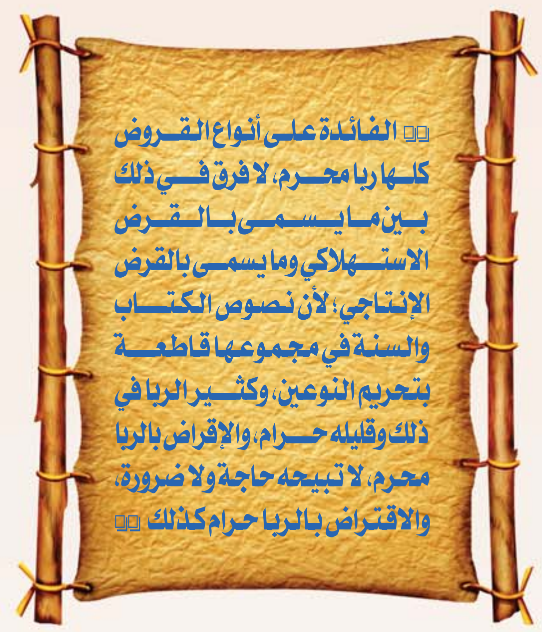
والتمييز دقيق بين كل من القرض والوديعة في العمل، فإذا وعد البنك برد النقود لدى الطلب؛ فقد يمكن القول: إن هناك وديعة؛ لأن الرد بمجرد الطلب يمنع البنك من استخدام النقود.

ولذلك فهو يقوم بخدمة لعملائه، ولا يُعتبر مقرضًا، لكن هذا لم يعد صحيحًا اليوم إلا من الناحية النظرية؛ فإن البنوك إذ تقبل الودائع ترد لدى الطلب أو بعد مدة قصيرة من الطلب، فإن ذلك لا يمنعها من استخدام النقود في مصالحها؛ اعتمادًا منها أن المودعين لن يتقدموا جميعًا لطلب الاسترداد دفعة واحدة في وقت واحد، وأن سحب بعض الودائع يؤدي إلى إيداع مبالغ جديدة، وأن الودائع الجديدة تُستخدم في مواجهة طلبات الاسترداد، وأنه يستطيع - بطرق متعددة - الحصول على ما يلزمه لمواجهة الطلبات الجديدة، فضلاً عن أن الوديعة - بالمعنى الفني الدقيق - التي تهدف إلى خدمة المودع تفترض في الواقع أن البنك المودَع لديه لا يعطي فائدة عنه، بل فوق ذلك يتقاضى أجرًا عن هذه الخدمة؛ لأن مجانية الإيداع التي يطلبها الفرد يصعب أن يقبلها البنك، كما أن القانون المدني لا يفترض في الوديعة أجرًا إلا لصالح المودَع لديه، في حين أن البنك لا يتلقى أي أجر عن عمله، بل إنه يعطي فائدة للعميل مقابل إبقاء النقود لديه.

ولذلك يمكن القول - بالنظر إلى الواقع - إن الوديعة النقدية المصرفية في صورتها الغالبة تُعد قرضًا، وهو ما يتفق مع القانون المصري؛ حيث تنص المادة ٧٢٦ منه على ما يأتي:

«إذا كانت الوديعة مبلغًا من النقود، أو أي شيء آخر مما يهلك باستعماله، وكان المودع عنده مأذونًا له في استعماله اعتبر العقد قرضًا»، وتأخذ كثير من تشريعات البلاد العربية بهذه القرينة، أي تنص على





أن البنك يمتلك النقود المودَعة لديه، ويلتزم بمجرد رد مثلها من نفس النوع». [عمليات البنوك من الوجهة القانونية ص: ٢٢-٢٧ بتصرف يسير].

الوديعة المصرفية قرض

بعد هذا كله نقول: إن ودائع البنوك تعتبر قرضًا في نظر الشرع والقانون، والاتفاق هنا بين الشرع والقانون من حيث الحكم على الودائع بأنها قرض، وبعد هذا الاتفاق يأتي الاختلاف الكبير بين شرع الله عز وجل في تحريم ربا الديون بصفة عامة، وبين القانون الوضعي في إباحته هذا الربا بعد أن أسماه فوائد.

ومن هنا ندرك سبب الفتوى التي أصدرها بالإجماع علماء المسلمين المشتركون في المؤتمر الثاني لمجمع البحوث الإسلامية بعد أن نظروا في الأبحاث المقدمة إليهم عن أعمال البنوك، ونص هذه الفتوى أن: «الفائدة على أنواع القروض كلها ربا محرم، لا فرق في ذلك بين ما يسمى بالقرض الاستهلاكي وما يسمى بالقرض الإنتاجي؛ لأن نصوص الكتاب والسنة في مجموعها قاطعة بتحريم النوعين، وكثير الربا في ذلك وقليله حرام، والإقراض بالربا محرم، لا تبيحه حاجة ولا ضرورة، والاقتراض بالربا حرام كذلك، ولا يرتفع إثمه إلا إذا دعت إليه الضرورة، وكل امرئ متروك لدينه في تقرير ضرورته.

وإن أعمال البنوك في الحسابات الجارية، وصرف الشيكات، وخطابات الاعتماد، والكمبيالات الداخلية التي يقوم عليها العمل بين التجار والبنوك في الداخل، كل هذا من المعاملات المصرفية الجائزة، وما يؤخذ في نظير هذه الأعمال ليس من الربا.

وإن الحسابات ذات الأجل، وفتح الاعتماد بفائدة، وسائر أنواع الإقراض نظير فائدة، كلها من المعاملات الربوية، وهي محرمة».

وفي سنة ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م عقد المؤتمر العالمي الأول للاقتصاد الإسلامي وحضره الكثرة الكاثرة من فقهاء الشريعة، وعلماء الاقتصاد، وغيرهم، ولم يثر أي خلاف حول اعتبار فوائد البنوك غير الإسلامية من الربا المحرم، كلهم أجمعوا على أن هذه الفوائد من الربا الذي حرمه الإسلام، ثم كانت الخطوة الأخرى نحو دعم البديل الإسلامي وتحسينه، ولهذا جاء في المقترحات والتوصيات ما يلي:

١- دعوة الحكومات الإسلامية إلى دعم البنوك الإسلامية القائمة في الوقت الحاضر، والعمل على نشر فكرتها وتوسيع نطاقها.

٢- العناية بتدريب العاملين في البنوك الإسلامية لتحقيق المستوى اللائق لكفايتهم العملية.

ثم عقدت عدة مؤتمرات أخرى أجمعت على ما أجمع عليه المؤتمران المذكوران، وبذلك أصبحت فوائد البنوك من الحرام البيِّن، ولم تعد من الشبهات، ولا مجال إذن للخلاف، ولا للفتاوى الفردية.

ولكن لماذا يذكر القانون؟

- ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ﴾.

- وما أثر معرفة معاملات البنوك من الوجهة القانونية؟

إن البنك يخضع للقانون الذي يحدد علاقته مع المتعاملين معه، والآثار المترتبة على ذلك من الحقوق والالتزامات.

فمن يودع في البنك فهو يعلم أن القانون هو الذي يحكم هذا التعامل، وقد نص على أن الإيداع إقراض، ورتب عليه ما يتصل بأحكام القرض، وليس لأي من المتعاقديْن أن يخرج من القانون، ولا أن يفسر هذا التعامل بما يخالف القانون، والمسلم الذي يذهب للبنك الربوي، ويعلم أن إيداعه إقراض ينطبق عليه كل أحكام القرض، وأن القانون أباح الفائدة المشروطة زيادة على القرض، وأن هذه الفائدة من الربا المحرم بالكتاب والسنة والإجماع، فإن الشخص في هذه الحالة يكون مُقْدمًا على ارتكاب كبيرة من الكبائر، عالمًا بأنه ملعون مطرود من رحمة الله تعالى، مؤذن بحرب من الله ورسوله.

نسأل الله تعالى رحمته، ونعوذ به من سخطه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

من صفات عباد الرحمن

الحلقة الأولى



إعداد/ وحيد عبدالسلام بالي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وبعدُ:

فإن الله عز وجل أخبرنا بكثير من صفات عباده الصالحين؛ منها ما جاء في القرآن الكريم، ومنها ما جاء في السنة المطهرة على لسان خاتم الأنبياء والمرسلين.

ومن ذلك ما جاء في سورة الفرقان؛ فقد ذكر الله عز وجل بعض هذه الصفات؛ فقال تبارك وتعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا (٦٣) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا (٦٤) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (٦٥) إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (٦٦) وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا (٦٧) وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلا بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفرقان: ٦٣ - ٧٠].

وهذه الآيات تبين لنا بعضًا من صفات عباد الرحمن؛ كالتواضع والسكينة والوقار في المشي، ورد السيئة بالحسنة، والقول الطيب السليم من الإثم، وقيام الليل، والخوف من عذاب النار، والاعتدال في النفقة، وعدم الشرك به جل وعلا، وعدم قتل النفس إلا بالحق، والابتعاد عن جريمة الزنا.

ومما ورد في سورة «الفرقان»: ﴿رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [آية: ٦]، وفي سورة «البقرة» ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [آية: ١٦]، وفي سورة «الفرقان»: ﴿إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ [آية: ٧٣]، وفي سورة «الأنفال» ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [آية: ٢]، وتوجد أمثلة كثيرة أخرى لصفاتٍ وصف الله عز وجل بها عباده المخلصين، وفيما يلي نستعرض كل صفة من هذه الصفات، ونبدأ بعون الله تعالى بصفة:

التواضع

عن عياض بن حمار رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله أوحى إليَّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد». [مسلم ٢٨٦٥].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدًا بعفوٍ إلا عزًا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه» [مسلم ٢٥٨٨].

وعن جابر رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إن من أحبكم إليَّ وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا، وإن أبغضكم إليَّ وأبعدكم مني

مجلسًا يوم القيامة الثرثارون (والثرثار هو كثير الكلام تكلفًا)، والمتشدقون، والمتفيهقون». قالوا: يا رسول الله، قد علمنا الثرثارين والمتشدقين، فما المتفيهقون؟ قال: «المستكبرون». [الترمذي ٢٠١٨ وصححه الألباني].

وعن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: يقول الله عز وجل: «العزُّ إزاره، والكبرياء رداؤه، فمن ينازعني، عذبته». [مسلم: ٢٦٢٠].

وعن حارثة بن وهب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ألا أخبركم بأهل النار، كل عُتل جواظ مستكبر». [متفق عليه].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «إن أهل النار كل جَعْظَرِيٍّ جَوَّاظٍ مستكبر جمَّاع منَّاع، وأهل الجنة الضعفاء المغلوبون». [رواه أحمد ١١ / ١٨٦، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم ١٧٤١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «تحاجت النار والجنة. فقالت النار: أُوثرت بالمتكبرين والمتجبرين. وقالت الجنة: فما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم وعجزهم. فقال الله للجنة: أنت رحمتي، أرحم بك من أشاء من عبادي. وقال للنار: أنت عذابي، أعذب بك من أشاء من عبادي. ولكل واحدة منكما ملؤها». [مسلم ٢٨٤٦].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولا ينظر إليهم، ولهم عذاب أليم: شيخ زانٍ وملك كذاب، وعائل مستكبر». [مسلم: ١٠٧].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أنه سمع النبي ﷺ يقول: «من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر؛ كبَّه الله لوجهه في النار». [رواه أحمد، ورواته رواة الصحيح، قاله المنذري في الترغيب (٥ / ١٨٧)، وقال الحافظ العراقي في تخريج الإحياء ١ / ١٩٣٤: إسناده صحيح].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر». فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنًا؟ قال: «إن الله جميل يحب الجمال، الكبر: بطر الحق، وغمط الناس». [مسلم ٩١].

ومعنى «بطر الحق»: أي رد الحق وعدم قبوله، و«غمط الناس»: احتقارهم.

فضل التواضع

قال الله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٥].

وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]. أي: رحماء بالمؤمنين متواضعين لهم.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَا مِنْ آدَمِيٍّ إلا في رَأْسه حَكَمَةُ الْحِكْمَة بِيَد مَلَك، فَإِنْ تَوَاضَعَ قِيلَ لِلْمَلَكِ: ارْفَعْ حَكَمَتَهُ، وَإِنِ ارْتَفَعَ قِيلَ لِلْمَلَكِ: ضَعْ حَكَمَتَهُ» [الطبراني في المعجم الكبير [١٢٩٣٩]، وحسنه الألباني في صحيح الجامع ٥٦٧٥، وفي الصحيحة ٥٣٨].

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: «وجدنا الكرم في التقوى، والغنى في اليقين، والشرف في التواضع». [إحياء علوم الدين ٣ / ٣٤٣].

وقال عمر رضي الله عنه: «إن العبد إذا تواضع لله، رفع الله حَكَمَتَه، وقال: انتعش رفعك الله، وإذا تكبر وعدا طوره، رهصه الله في الأرض، وقال: اخسأ خسأك الله، فهو في نفسه كبير وفي أعين الناس حقير، حتى إنه لأحقر عندهم من الخنزير». [ابن أبي الدنيا في كتابه التواضع والخمول ١ / ١٠٢ رقم ٧٨].

وقالت عائشة رضي الله عنها: «إنكم لتغفلون عن أفضل العبادات: التواضع». [إحياء علوم الدين للغزالي ٣ / ٣٤١].

وعَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّه رضي الله عنه، قَالَ: «نَزَلْنَا الصِّفَاحَ، فَإِذَا رَجُلٌ نَائِمٌ تَحْتَ شَجَرَةٍ قَدْ كَادَتِ الشَّمْسُ أَنْ تَبْلُغَهُ قَالَ: فَقُلْتُ لِلْغُلامِ: انْطَلِقْ بِهَذَا النِّطْعِ فَأَظِلَّهُ، قَالَ: فَانْطَلَقَ فَأَظَلَّهُ، فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ إِذَا هُوَ سَلْمَانُ، فَأَتَيْتُهُ أُسَلِّمُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: يَا جَرِيرُ تَوَاضَعْ لِلَّه، فَإِنَّهُ مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّه فِي الدُّنْيَا رَفَعَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَا جَرِيرُ هَلْ تَدْرِي مَا الظُّلُمَاتُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قُلْتُ: لا أَدْرِي، قَالَ: ظُلْمُ النَّاسِ بَيْنَهُمْ». [رواه هناد في الزهد (١ / ٩١ رقم ٩٨)، ووكيع في الزهد (١ / ٢٤١ رقم

> إن العبد إذا تواضع لله، رفع الله حَكَمَتَه، وقال: انتعش رفعك الله، وإذا تكبر وعدا طوره، رهصه الله في الأرض، وقال: اخسأ خسأك الله، فهو في نفسه كبير وفي أعين الناس حقير، حتى إنه لأحقر عندهم من الخنزير

٢٠٩)، وأورده المنذري في الترغيب والترهيب (٤ / ٢٨٩) وقال: رواه البيهقي بإسناد حسن].

وقال الحسن: «التواضع أن تخرج من منزلك ولا تلق مسلمًا إلا رأيت له عليك فضلاً». [ابن أبي الدنيا في كتابه التواضع والخمول ١ / ١٥٢ رقم ١١٦].

وقال قتادة: «من أعطي مالاً، أو جمالاً، أو ثيابًا، أو علمًا، ثم لم يتواضع فيه؛ كان عليه وبالاً يوم القيامة». [ابن أبي الدنيا في كتابه التواضع والخمول ١ / ١١٩ رقم ٩٠].

وقال الفضيل وقد سُئل عن التواضع: «أن تخضع للحق وتنقاد له، ولو سمعته من صبي قبلته، ولو سمعته من أجهل الناس قبلته». [ابن أبي الدنيا في كتابه التواضع والخمول ١ / ١١٨ رقم ٨٨، وأبو نعيم في الحلية ٨ / ٩١].

وقال ابن المبارك: «رأس التواضع أن تضع نفسك عند من دونك في نعمة الدنيا حتى تُعلمه أنه ليس لك بدنياك عليه فضل، وأن ترفع نفسك عمن هو فوقك في الدنيا حتى تُعلمه أنه ليس له بدنياه عليك فضل». [ابن أبي الدنيا في كتابه التواضع والخمول ١ / ١١٩ رقم ٨٩].

وقيل لعبد الملك بن مروان: أي الرجل أفضل؟ قال: «من تواضع عن قُدرة، وزهِدَ عن رغبة، وترك النصرة عن قوة». [ابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٧ / ١٤٤].

وقيل: «أرفع ما يكون المؤمن عند الله أوضع ما يكون عند نفسه، وأوضع ما يكون عند الله أرفع ما يكون عند نفسه». [إحياء علوم الدين ٣ / ٣٤٢].

وقيل: «لا عز إلا لمن تذلل لله عز وجل، ولا رفعة إلا لمن تواضع لله عز وجل، ولا أمن إلا لمن خاف الله عز وجل، ولا ربح إلا لمن باع نفسه لله عز وجل». [إحياء علوم الدين ٣ / ٣٤٣].

أمثلة من تواضع النبي ﷺ

لقد ضرب لنا النبي ﷺ المثل الأعلى في التواضع: وكيف لا وهو الذي زكاه الله بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، وقال له أيضًا: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، بل كان رحيم القلب، خافض الجناح، لين الجانب.

> **عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ قال: كان رسول الله ﷺ يجلس على الأرض، ويأكل على الأرض، ويعقل الشاة، ويجيب دعوة المملوك على خبز الشعير**

فمن مظاهر تواضعه ﷺ: أنه كان إذا مر بصبيان صغار يلعبون، سلم عليهم. [متفق عليه].

ولقد بلغ التواضع بالنبي ﷺ أنه كان يعاون أهله في عمل البيت: فعن الأسود بن يزيد؛ قال: سألت عائشة رضي الله عنها: ما كان النبي ﷺ يصنع في بيته؟ قالت: كان يكون في مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة خرج إليها. [البخاري ٦٧٦].

ولقد كان التواضع ظاهرًا في كل أفعال النبي ﷺ، حتى في طعامه وشرابه: فكان ﷺ إذا أكل لعق أصابعه الثلاث. [مسلم: ٢٠٣٤]

وقال ﷺ: «إذا سقطت لقمة أحدكم، فليمط عنها الأذى، وليأكلها ولا يدعها للشيطان». [مسلم ٢٠٣٤].

ومن تواضعه ﷺ أنه كان يجيب الدعوة إلى الطعام، ولو كان قليلاً، وكان يقبل الهدية، وإن كانت شيئًا مستصغرًا في نظر الناس؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «لو دعيت إلى كراع لأجبت، أو ذراع، ولو أهدي إليَّ ذراع أو كراع، لقبلت». [البخاري ٢٥٦٨]. و«الكراع»: هو جزء من الحيوان لا يكون فيه لحم كثير، وهو ما بين الركبة والساق.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «يا عائشة، لو شئت لسارت معي جبال الذهب، جاءني ملك، إن حجزته لتساوي الكعبة، فقال: إن ربك يقرأ عليك السلام ويقول لك: إن شئت نبيًا عبدًا، وإن شئت نبيًا ملكًا». فنظرت إلى جبريل، قال: فأشار إليَّ أن ضع نفسك. قال: فقلت: نبيًا عبدًا». [أبو نعيم في حلية الأولياء ٣ / ٢٩٤، وقال الألباني في الصحيحة (٥٧٧٣): صحيح دون ذكر الحجزة وبلفظ: "بل عبدًا رسولاً"].

فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك لا يأكل متكئًا، يقول: «آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد». [رواه أبو يعلى، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٢٠٥٣].

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: كان حديث رسول الله ﷺ القرآن، يكثر الذكر، ويقصر الخطبة، ويطيل الصلاة، ولا يأنف ولا يستكبر أن يذهب مع المسكين الضعيف حتى يفرغ من حاجته. [رواه الطبراني، وإسناده حسن، قاله الهيثمي في مجمع الزوائد: ٩ / ٢٠].

وعن عمر رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله». [متفق عليه].

ومن تواضعه ﷺ أنه كان يرتدف على الدابة في وقت كان الناس يأنفون من ذلك.

فعن معاذ رضي الله عنه قال: كنت ردف النبي ﷺ على حمار يقال له عفير، فقال: «يا معاذ، هل تدري ما حق الله على عباده، وما حق العباد على الله؟» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، وحق العباد على الله ألا يعذب من لا يشرك به شيئًا». فقلت: يا رسول الله، أفلا أبشر الناس ؟ قال: «لا تبشرهم فيتكلوا». [متفق عليه].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما؛ قال: كان رسول الله ﷺ يجلس على الأرض، ويأكل على الأرض، ويعقل الشاة، ويجيب دعوة المملوك على خبز الشعير. [رواه الطبراني، وإسناده حسن، قاله الهيثمي في المجمع ٩ / ٢٠].

وعن الحسين بن علي رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا ترفعوني فوق حقي؛ فإن الله تعالى اتخذني عبدًا قبل أن يتخذني رسولاً». [رواه الطبراني، وإسناده حسن، قاله الهيثمي في المجمع (٩ / ٢١)].

أمثلة من تواضع الصحابة رضي الله عنهم

عن عمر المخزومي قال: نَادَى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِالصَّلَاةِ جَامِعَةً، فَلَمَّا اجْتَمَعَ النَّاسُ وَكَثُرُوا؛ صَعِدَ الْمِنْبَرَ؛ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، وَصَلَّى عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ! لَقَدْ رَأَيْتُنِي أَرْعَى عَلَى خَالَاتٍ لِي مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ، فَيَقْبِضْنَ لِي الْقَبْضَةَ مِنَ التَّمْرِ أَوِ الزَّبِيبِ، فَأَظَلُّ يَوْمِي وَأَيُّ يَوْمٍ. ثُمَّ نَزَلَ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! مَا زدت على أن قئمت نَفْسَكَ - يَعْنِي: عِبْتَ -. قَالَ: فَقَالَ: وَيْحَكَ يَا ابْنَ عَوْفٍ! إِنِّي خَلَوْتُ؛ فَحَدَّثَتْنِي نفسي؛ قال: أَنْتَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ؛ فَمَنْ ذَا أَفْضَلُ مِنْكَ ؟ فَأَرَدْتُ أَنْ أُعَرِّفَهَا نَفْسَهَا. [ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٤ / ٣١٥].

وعن الحسن رحمه الله قال: خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه في يوم حار واضعًا رداءه على رأسه، فمر به غلام على حمار، فقال: يا غلام! احملني معك، فوثب الغلام عن الحمار، وقال: اركب يا أمير المؤمنين، قال لا، اركب، وأركب أنا خلفك، تريد تحملني على المكان الوطيء وتركب أنت على الموضع الخشن! فركب خلف الغلام، فدخل المدينة وهو خلفه والناس ينظرون إليه. [ابن أبي الدنيا في كتاب الزهد ١ / ٢٧٨ رقم ٢٧٧، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٤ / ٣١٩].

وعن سنان بن سلمة الهذلي قال: خرجت مع الغلمان ونحن بالمدينة نلتقط البلح، فإذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه معه الدرة، فلما رآه الغلمان تفرقوا في النخل، قال: وقمت وفي إزاري شيء قد لقطته، فقلت: يا أمير المؤمنين! هذا ما تلقي الريح. قال: فنظر إليَّ في إزاري فلم يضربني، فقلت: يا أمير المؤمنين، الغلمان الآن بين يدي وسيأخذون ما معي. قال: كلا امش. قال: فجاء معي إلى أهلي. [الطبقات الكبرى لابن سعد ٧ / ١٢٤].

وعن عبد الله بن الرومي، قال: كان عثمان رضي الله عنه يلي وضوء الليل بنفسه، فقيل: لو أمرت بعض الخدم فكفوك. فقال: لا، إن الليل لهم يستريحون فيه. [كنز العمال ٩ / ٣٥٥ رقم ٢٥٦٤٨].

وعن الحسن قال: رأيت عثمان رضي الله عنه نائمًا في المسجد في ملحفة، ليس حوله أحد، وهو أمير المؤمنين. [الزهد للإمام أحمد (١ / ١٢٧)، وأبو نعيم في حلية الأولياء ١ / ٦٠].

وعن جرموز قال: رأيت عليًا رضي الله عنه وهو يخرج من القصر وعليه قطريتان: إزار إلى نصف الساق، ورداء مشمر قريب منه، ومعه درة له، يمشي بها في الأسواق، ويأمرهم بالتقوى وحسن البيع، ويقول: أوفوا الكيل والميزان. [ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٢ / ٤٨٤].

وعن عبد الله بن سلام: أنه مرّ في السوق وعليه حزمة من حطب، فقيل له: ما يحملك على هذا وقد أغناك الله عن هذا؟ قال: أردت أن أدفع الكبر؛ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يدخل الجنة من في قلبه خردلة من كبر». [الطبراني في المعجم الكبير ١٨ / ٤٢١ رقم ١٢٩، وقال المنذري: إسناده حسن].

وعن ثابت بن مالك قال: رأيت أبا هريرة رضي الله عنه أقبل من السوق يحمل حزمة حطب وهو يومئذ عامل لمروان، فقال: أوسع الطريق للأمير يا ابن مالك! [إحياء علوم الدين ٣ / ٣٥٥].

هكذا كان حال الجيل الذي تربى في المدرسة المحمدية، تربوا على يد الرسول ﷺ، ورحم الله الإمام مالكًا؛ حيث قال: «لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها». فمن أراد الصلاح والفلاح؛ فعليه بالاقتداء برسول الله ﷺ والاقتباس من السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن نهج طريقهم، واقتفى آثارهم؛ لأنهم كانوا على هدًى مستقيم.

والحمد لله رب العالمين.



تحذير الداعية من القصص الواهية

الحلقة (١١٩)

قصة مفتراة على أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - في حرقه السنة

إعداد/ علي حشيش



نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اتخذها منكرو السنة قاعدة للطعن في السنة، وهدم الإسناد، والطعن في أئمة الحديث.

ولقد أورد هذه القصة الدكتور الفنجري ليطعن بها في السنة في كتابه الذي سماه «أحاديث موضوعة في كتب التراث تسيء إلى الإسلام وتؤخر المسلمين»، طبعته ونشرته مؤسسة «أخبار اليوم».

وبينما أنا أنظر إلى العنوان، وقع في نفسي أن كتب التراث التي بها أحاديث موضوعة تسيء إلى الإسلام وتؤخر المسلمين هي الكتب التي بها إسرائيليات مدسوسة وأحاديث مكذوبة، كما في تفسير الثعلبي، وكتاب العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني، وغيرهما من الكتب التي يعرفها علماء الصنعة الحديثية.

ولكن كانت المصيبة عندما فتحت الكتاب وجدت أن كتب التراث التي يقصدها المصنِّف والتي بها أحاديث موضوعة (أي مكذوبة ومختلقة ومصنوعة ومنسوبة كذبًا إلى رسول الله ﷺ)، وتسيء إلى الإسلام وتؤخر المسلمين هي:

١- صحيح أمير المؤمنين في الحديث الإمام البخاري الذي طعن فيه الدكتور في كتابه (ص٣٣، ١٣١، ١٥١،...).

فانظر كيف سوّلت للدكتور الفنجري نفسه أن يمسك بخنجره المسموم بسموم منكري السنة ليطعن في بطن صحيح الإمام البخاري وصحيح تلميذه الإمام مسلم بن الحجاج، ويدلس على الناس بعنوان كتابه الذي ذكرناه آنفًا، ونحن لا نتناول شخص الدكتور الفنجري ولا رسمه، ولكن ندافع عن الحديث وأهله:

أهل الحديث هُمُوا أهل النبي وإن
لم يصحبوا نفسه أنفاسه صحبوا

ندافع عن الحديث وأهل الحديث الذين طعن في علمهم الدكتور بغير علم ولا هدى، بل وفي أشخاصهم وبلادهم؛ ففي كتابه المذكور (ص١٩) قال: «فلا ننسى أن معظم هؤلاء - يعني رواة الأحاديث - كانوا أعاجم ولم يكونوا عربًا، والمقصود بهذا أن التمكن من اللغة العربية وأسرارها كان ينقصهم في كشف الحديث المكذوب». اهـ.

قُلْتُ: انظر كيف سوّلت له نفسه أن يطعن في الإمام البخاري بأنه ليس عربيًا ومن الأعاجم، وأنه ينقصه اللغة العربية في كشف الحديث المكذوب؛ حيث يطعن في البخاري بأن فيه أحاديث مكذوبة تسيء إلى الإسلام وتؤخر المسلمين!!!!

هكذا سوّلت للدكتور نفسه أن يطعن في رواية

الأحاديث بالطعن في أنساب رواته، خاصة البخاري ومسلم.

أولاً: نسب أمير المؤمنين في الحديث الإمام البخاري

وهذا هو نسب أمير المؤمنين في الحديث الإمام البخاري يبينه الحافظ ابن حجر في «هدي الساري» (ص٥٠١) قال:

١- «هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه الجعفي، ولد يوم الجمعة بعد الصلاة لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة أربع وتسعين ومائة ببخارى. قال المستنير بن عتيق: أخرج لي ذلك محمد بن إسماعيل بخط أبيه، وجاء ذلك عنه من طرق، وجده (بَرْدِزْبَه) بفتح الباء الموحدة وسكون الراء المهملة وكسر الدال المهملة وسكون الزاي المعجمة وفتح الباء الموحدة بعدها هاء، هذا هو المشهور في ضبطه، وبه جزم ابن ماكولا.

و(بَرْدِزْبَه) بالفارسية الزرَّاع، كذا يقول أهل بخارى، وكان بردزبه فارسيًا على دين قومه، ثم أسلم ولده المغيرة على يد اليمان الجعفي والي بخارى آنذاك، فنسب إليه نسب ولاء عملاً بمذهب من يرى أن من أسلم على يده شخص كان ولاؤه له، وإنما قيل له الجعفي لذلك.

٢- وأما والد البخاري «إسماعيل بن إبراهيم» فله ترجمة في كتاب الثقات لابن حبان، فقد قال في الطبقة الرابعة: إسماعيل بن إبراهيم والد البخاري يروي عن حماد بن زيد، ومالك، وروى عنه العراقيون، وذكره ولده في «التاريخ الكبير»؛ فقال: إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة: سمع من مالك، وحماد بن زيد، وصافح ابن المبارك، ومات إسماعيل ومحمد صغير فنشأ في حجر أمه، ثم حج مع أمه وأخيه أحمد، وكان أسن منه، فأقام هو بمكة مجاورًا يطلب العلم، ورجع أخوه أحمد إلى بخارى.

ثانيًا: رحلات البخاري العلمية والرد على فرية الدكتور

هذا رد على الدكتور في طعنه في أنساب رواة الحديث وأنهم عجم، وأنهم لا دراية لهم باللغة العربية وأسرارها التي بها ينكشف الحديث المكذوب، وتركّز طعن الدكتور في أمير المؤمنين في الحديث الإمام البخاري ظنًا منه أنه من بخارى.

ولا يدري الدكتور الرحلات العلمية لرواة الأحاديث، فليرجع الدكتور الذي يطعن في أنساب رواة الحديث إلى «هدي الساري» (ص٥٠١) وإلى «طبقات الشافعية» (٢ / ٥)؛ لعله يتذكر أو يخشى.

«تعددت رحلات البخاري العلمية؛ للأخذ عن الشيوخ، والرواية عن المحدثين؛ حيث ابتدأت برحلته إلى الحج في صحبة والدته وأخيه، وكان ذلك سنة عشر ومائتين للهجرة، وسنه لا تتجاوز عشر سنوات، وما كاد يفرغ من حجه والاتصال بعلماء مكة ومحدثيها، حتى رحل إلى المدينة وأخذ عن علمائها.

لقد آثر البخاري أن يجعل الحرمين الشريفين طليعة رحلاته العلمية للتحصيل والرواية؛ حيث أقام بها ستة أعوام حتى إذا استوفى حظه من الرواية والسماع انتقل في رحلاته العلمية عبر الأقاليم والأقطار.

١- روى سهل بن السدي عن البخاري قال: «دخلت إلى الشام ومصر والجزيرة مرتين، وإلى البصرة أربعًا، وأقمت بالحجاز ستة أعوام، ولا أحصي كم مرة دخلت إلى الكوفة وبغداد مع المحدثين».

ثم تتابعت رحلات البخاري، وسفره في سبيل الحديث والرواية، حتى شملت أغلب الحواضر العلمية في وقته، واستغرقت معظم حياته، كل ذلك يجالس العلماء، ويحاورهم، ويجمع الحديث ويرويه، ويعقد مجالس التحديث والمناقشة، ويتعرض للامتحان والكيد؛ فيخرج سالمًا منتصرًا على الكائدين والمتربصين.

٢- روى محمد بن أبي حاتم قال: سمعت البخاري يقول: «دخلت بغداد ثماني مرات، كل ذلك أجالس أحمد بن حنبل».

وهكذا تكون الأقطار والأقاليم التي رحل إليها البخاري، وحدث فيها وزارها هي: (مكة - المدينة - بغداد - واسط - البصرة - الكوفة - دمشق - حمص - قيسارية - عسقلان - خراسان - نيسابور - مرو - هراة - بخارى - مصر) وغيرها.

فأين الدكتور نفسه من هذه الرحلات لأمير المؤمنين في الحديث الإمام البخاري، هو ومن وراءه من منكري السنة الذين لا رحلات لهم إلا إلى أهوائهم وأهواء من وراءهم من المستشرقين.

ولم يكتف الدكتور بهذا الباطل الذي أدحضناه، فذهب إلى قصة باطلة ليتخذها قاعدة يهدم بها السنة، وسننسفها له نسفًا، ونبين للأمة عدم درايته بهذا العلم، وأنه يجادل بالباطل ليدحض به الحق.

ثالثًا: القصة المفتراة على أبي بكر الصديق رضي الله عنه

لقد ادعى الدكتور أن الصديق أبا بكر رضي الله عنه قام بحرق الحديث؛ حيث أورد في كتابه «أحاديث موضوعة في كتب التراث تسيء إلى الإسلام وتؤخر المسلمين»، والذي تبين بالفحص والتحقيق أن عنوان الكتاب فيه تدليس على القراء، وكان الأولى به أن يفصح عن سوء قصده فيقول: «أحاديث موضوعة في صحيح البخاري وصحيح مسلم تسيء إلى الإسلام وتؤخر المسلمين»، ولقد أورد في مقدمته قصة باطلة يهدم بها السنة، ويطعن بها في البخاري؛ حيث يدعي أن السنة قد حُرقت، ولم تسجل إلا بعد أكثر من ٢٠٠ عام بعد وفاة رسول الله ﷺ، فاضطروا إلى ما يسمى (بالعنعنة)، ثم يقول ذلك الدكتور في كتابه (ص١٩):

«فهذه الطريقة غير مضمونة، ولا تخلو من الأخطاء؛ فكثيرًا ما تنقطع الحلقة، أو يدخل مدلس

وكذاب». ظنًا منه أن السنة قد حرقت، ولم تسجل إلا بعد أكثر من مائتي سنة، فجاءت بعد هذه الفترة أسانيد ملفقة بالانقطاع والتدليس والكذب.

ثم قال في كتابه (ص١٥): «ورغم مشاغل الخليفة الأول أبي بكر بحروب الردة فقد قام بجمع (٥٠٠) خمسمائة حديث، ولكنه توقف وأحرق ما جمعه...».

رابعًا: استجواب

الدكتور الذي يدعي أن السنة قد حُرقت، وأنه لا توجد أسانيد؛ حيث يدعي أيضًا أن كتابة الحديث كانت بعد أكثر من مائتي عام بعد وفاة رسول الله ﷺ !!

وسنرد على هذه الفرية إن شاء الله بالتفصيل، ولكن نتساءل أولاً:

١- إذا كانت الأحاديث حرقت ولا توجد أسانيد، فبأي سند جئت بقصة حرق أبي بكر للسنة؟

٢- وإذا كنت يا دكتور لا تعرف من السنة إلا حرق السنة، فهلا خرجت حديث حرق السنة، فكلامك بغير تخريج هو تخريب للسنة!!

٣- وإذا كنت لا تدري ما التخريج فأنت لا تدري أيضًا التحقيق. وإذا كنت لا تعرف حتى مبادئ هذا العلم، فكيف تفتري على الصديق أبي بكر رضي الله عنه بقصة حرقه للسنة، وأنهم لم يسألوا عن الإسناد إلا بعد أكثر من مائتي عام لتسجيل الأحاديث.

٤- كيف سولت للدكتور نفسه ليحرق الإسناد الذي خص الله به المسلمين من بين سائر الملل؟!!

٥- لقد بيَّن الإمام السيوطي في «التدريب» (٢ / ١٥٩) قيمة هذا الإسناد، حيث نقل عن الإمام ابن حزم في تعريف الإسناد أنه قال:

أ- هو نقل الثقة عن الثقة يبلغ به النبي ﷺ مع الاتصال، خص الله به المسلمين دون سائر الملل.

ب- وأما مع الإرسال والإعضال فيوجد في كثير من اليهود، لكن لا يقربون فيه من موسى قربنا من محمد ﷺ، بل يقفون بحيث يكون بينهم وبين موسى أكثر من ثلاثين عصرًا، وإنما يبلغون إلى شمعون ونحوه.

جـ- قال: وأما النصارى فليس عندهم من صفة هذا النقل إلا تحريم الطلاق فقط، وأما النقل بالطريق المشتملة على كذب أو مجهول العين فكثير في نقل اليهود والنصارى.

د- وأما أقوال الصحابة والتابعين فلا يمكن اليهود أن يبلغوا إلى صاحب نبي أصلاً، ولا إلى تابع له، ولا يمكن النصارى أن يصلوا إلى أعلى من شمعون وبولس. اهـ.

٦- لذلك أخرج الإمام مسلم في «مقدمة الصحيح» باب «الإسناد من الدين»؛ حيث قال: حدثني محمد بن عبد الله بن قهزاذ من أهل مرو قال: سمعت عبدان بن عثمان يقول: سمعت عبد الله بن المبارك يقول: «الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء». اهـ.

فكيف سولت للدكتور نفسه أن يهدم الدين بهدمه للإسناد؟

وإن كان الدكتور لا يدري ما إسناد القصة التي جاء بها ليحرق السنة، فإلى الدكتور إسناد هذه القصة التي افترى فيها على الصحابي الجليل أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

خامسًا: سند القصة

أورد الحافظ الذهبي رحمه الله في كتابه «تذكرة الحفاظ» (١ / ٥) قال: «نقل الحاكم فقال: حدثني بكر بن محمد الصيرفي بمرو أخبرنا محمد بن موسى البربري أخبرنا المفضل بن غسان، أخبرنا علي بن صالح، أخبرنا موسى بن عبد الله بن حسن بن حسن، عن إبراهيم بن عمر بن عبيد الله التيمي، حدثني القاسم بن محمد قالت عائشة:

«جمع أبي الحديث عن رسول الله ﷺ وكانت خمسمائة حديث، فبات ليلته يتقلب كثيرًا، قالت: فغمَّني، فقلت: أتتقلب لشكوى أو لشيءٍ بلغك؟

فلما أصبح قال: أي بنية هلمي الأحاديث التي عندك فجئته بها فدعا بنار فحرقها، فقلت: لما أحرقتها؟

قال: خشيت أن أموت وهي عندي فيكون فيها أحاديث عن رجل قد ائتمنته ووثقت ولم يكن كما حدثني فأكون قد نقلت ذاك». اهـ.

قلت: هذه هي القصة التي سوَّد بها الدكتور مقدمة كتابه ليهدم بها السنة، وهذا هو سندها وإلى القارئ الكريم التحقيق ليتبين له عدم معرفة الدكتور بهذا العلم.

سادسًا: التحقيق

هذه القصة التي أوردها الدكتور واهية، والسند الذي جاءت به تالف.

هذه القصة التي جاءت في أحد عشر سطرًا لم يكتب منها الدكتور إلا سطرًا واحدًا يوافق هواه: فلم ينقل من القصة إلا هذه الكلمات: «قام أبو بكر بجمع (٥٠٠) حديث، ولكنه توقف وأحرق ما جمعه».

وهنا أمران:

الأمر الأول: الدكتور أضاع السند؛ فإن كان أضاعه عن جهل فهذه مصيبة، وإن كان أضاعه وأخفاه عن عمد فالمصيبة أعظم؛ لأنه بإخفائه للسند الذي هو الإخبار عن طريق المتن يضل عن سبيل الله بحرقه للسنة.

حيث إن في السند العلة التي تظهر نكارة هذا المتن، وإلى الدكتور بيان العلة، وهي: موسى بن عبد الله بن حسن بن حسن:

١- أورده الإمام الحافظ أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي المكي في كتابه «الضعفاء الكبير» (٤ / ١٥٩ / ١٧٣٠) قال: «موسى بن عبد الله بن حسن قال البخاري: فيه نظر».

٢- أورده الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن

أحمد بن عثمان الذهبي في «الميزان» (٤ / ٢١١ / ٨٨٨٩) قال: «موسى بن عبد الله بن حسن بن حسن العلوي قال البخاري: فيه نظر».

٤- أورده الإمام الحافظ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني في «لسان الميزان» (٦ / ١٤٤) (١٨٧٧ / ٨٦٦٢) قال: «موسى بن عبد الله بن حسن بن حسن العلوي قال البخاري: فيه نظر. وأقر ما قاله الإمام الذهبي في الميزان». اهـ.

٥- قلت: وهذا المصطلح عند أمير المؤمنين في الحديث الإمام البخاري له معناه لا يفقهه إلا أهل الصنعة.

قال الحافظ ابن حجر في «هدي الساري» ص(٥٠٤): «للبخاري في كلامه على الرجال توقٍ زائد، وتحرٍ بليغ يظهر لمن تأمل كلامه في الجرح والتعديل، فإن أكثر ما يقول: سكتوا عنه، فيه نظر، تركوه ونحو هذا...».

٦- قال الإمام السيوطي في «التدريب» (١ / ٣٤٩) في التنبيه الأول: «البخاري يطلق: فيه نظر وسكتوا عنه فيمن تركوا حديثه». اهـ.

٧- قلت: بهذا يتبين أن الحديث الذي جاءت به القصة متروك، والقصة واهية لا تصح.

٨- لذلك قال الإمام الذهبي بعد أن أورد حديث القصة في «تذكرة الحفاظ» (١ / ٥) قال: «فهذا لا يصح».

الأمر الآخر: الدكتور أسقط معظم المتن؛ فإن كان عن جهل فهذه أيضًا مصيبة، وإن كان عن عمد فالمصيبة أعظم.

فالمتن أيضًا اهتم به علماء الصنعة اهتمامًا عظيمًا، لا كما يدعي الدكتور أن علماء الحديث لم يتعرضوا للمتن؛ حيث قال ص(٢٢):

«وقد اعتمد الألباني في هذا على نفس القاعدة القديمة، وهي الرواية والعنعنة دون التعرض للمعنى أو المنطق». اهـ.

قلت: والدكتور بقوله هذا يكرّر عبارة المستشرقين ومنكري السنة، وهؤلاء لا دراية لهم بمناهج المحدثين في الجرح والتعديل، فهذا ابن حبان في كتابه «المجروحين» (١ / ٣٥٠) يذكر الراوي المجروح، ويذكر ما له من مناكير، ثم يقول: «يروي عن الثقات الموضوعات الذي يتخايل إلى المستمع لها وإن لم يكن الحديث صناعته أنها موضوعة». اهـ.

هذا على سبيل المثال لا الحصر.

ونسأل الدكتور: لقد جئت بقصة سندها محذوف ومتنها مبتور، فالسند كما بينا تالف متروك، والمتن يطعن في عدالة الصحابة رضي الله عنهم.

ألم يعلم أن قصة حرق أبي بكر للسنة تلك القصة الباطلة جاء في متنها أن عائشة رضي الله عنها قالت لأبيها: «لم حرقتها؟».

قال: خشيت أن أموت وهي عندي فيكون فيها أحاديث عن رجل قد ائتمنته ووثقت ولم يكن كما حدثني فأكون قد نقلت ذاك. اهـ.

ونتساءل: عمن ينقل أبو بكر الصديق حديث النبي ﷺ؟ ومن هم الرجال الذين يحدثون أبا بكر الصديق بحديث النبي ﷺ؟ لا ريب أنهم صحابة النبي ﷺ؛ حيث قال الإمام الذهبي عقب القصة: «توفي الصديق رضي الله عنه لثمان بقيت من جمادى الآخرة من سنة ثلاث عشرة». اهـ.

إذن أكابر الصحابة أكثرهم موجود؛ فكيف يطعن في صحابة النبي ﷺ بأنهم حدثوه وائتمنهم ولم يكن كما حدثوه؟!! فهذا من علامات الوضع.

إن القصة باطلة، كما بيّن علماء الصنعة في تحقيق الأسانيد والمتون؛ حيث قال الإمام ابن القيم في «المنار المنيف» (فصل ١٣) القاعدة (١٢) قال: «ونحن ننبّه على أمور كلية يُعرف بها كون الحديث موضوعًا: منها أن يكون الحديث مما تقوم الشواهد الصحيحة على بطلانه».

فهذا هو أمير المؤمنين في الحديث الإمام البخاري الذي كشف عن علة حديث قصة حرق أبي بكر للسنة، وما كان للدكتور ومن وراءه من منكري السنة دراية بهذه العلة ولا دراية بالإسناد الذي يحمل هذه العلة.

ألم يأن للدكتور وأمثاله أن يتقوا الله في أمير المؤمنين في الحديث الإمام البخاري، وإن كان الدكتور لا دراية له بالصناعة الحديثية كما بينا؛ فليرجع إلى أئمة هذا العلم، فقد نقل الحافظ ابن حجر في «هدي الساري» (ص٥١٣) عن الإمام البيهقي في «المدخل» عن الحاكم أبي عبد الله قال: سمعت أبا نصر أحمد بن محمد الوراق يقول: سمعت أحمد بن حمدون القصار، وهو أبو حامد الأعمش، يقول: سمعت مسلم بن الحجاج وجاء إلى محمد بن إسماعيل البخاري فقبّل بين عينيه وقال: دعني حتى أقبّل رجليك يا أستاذ الأستاذين، وسيد المحدثين، وطبيب الحديث وعلله. اهـ.

وما كنت لأرد على الدكتور لو احتفظ لنفسه بالطعن في صحيح البخاري، ولكن يقوم بنشر طعنه في كتاب يوزّع توزيع الجرائد في «أخبار اليوم»، ولا يتقي الله في أستاذ الأستاذين وسيد المحدثين وطبيب الحديث وعلله.

وسأواصل بيان افتراءاته على الإسناد، وبيان افتراءاته على الاعتقاد التي أدت به إلى الاعتداء على الإمام البخاري في كتابه (ص١٣١)، وكذّب الحديث رقم (١٢٨٥) في صحيح البخاري؛ نتيجة جهله بأصول الاعتقاد - كما سنبين - حتى سولت له نفسه أن يقول عن هذا الحديث الذي في أعلى درجات الصحة: «والظاهر أن واضع هذا الحديث...» هكذا يطعن في صحيح البخاري، ويدّعي أن به أحاديث موضوعة مكذوبة.

وسنواصل الرد هذه الافتراءات في أعداد قادمة إن شاء الله تعالى.

والله وحده من وراء القصد، والحمد لله رب العالمين.



التكبير لسجود التلاوة

يسأل عبد القادر علي حمود من العبور فيقول: إذا كان الواحد منا يصلي، فأراد أن يسجد للتلاوة، فهل يكبّر عند سجوده، وكذلك عند القيام من السجود؟ وهل يكون التكبير خارج الصلاة أيضًا؟

الجواب: ثبت عن رسول الله ﷺ أنه كان يكبّر في الصلاة في كل خفضٍ أو رفع، إذا سجد كبَّر، وإذا نهض كبَّر، وهكذا. روى عنه ذلك أصحابه رضي الله عنهم، أما إذا سجد للتلاوة في خارج الصلاة فلم يرو إلا التكبير في أوله؛ كما روى ذلك أبو داود والحاكم، أما عند الرفع من السجود في خارج الصلاة فلم يُرْوَ فيه تكبير ولا تسليم، فلا يشرع إلا التكبيرة الأولى عند السجود إذا كان خارج الصلاة، ويُشرع لمن سجد سجدة التلاوة أن يقول فيها مثلما يقول في سجود الصلاة من التسبيح والدعاء، وليس بعدها تشهد، ولا تكبير عند الرفع، ولا تسليم في الأصح من قولي أهل العلم؛ لعدم ورود ذلك عن رسول الله ﷺ.

وصح عَنْ عَائِشَةَ - رضي الله عنها - قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّه ﷺ يَقُولُ فِي سُجُود الْقُرْآنِ بِاللَّيْلِ يَقُولُ فِي السَّجْدَة مرارًا: «سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ، وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ» [أبو داود ١٤١٦ وصححه الألباني].

سجدة التلاوة في الصلاة السرية

ويسأل سؤالاً ثانيًا فيقول: هل يجوز للإمام وهو يصلي الصلاة السرية أن يسجد إذا مر بآية سجدة؟

الجواب: ثبت عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قَرَأَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ عَلَى الْمِنْبَرِ بِسُورَةِ النَّحْلِ، حَتَّى إِذَا جَاءَ السَّجْدَةَ نَزَلَ فَسَجَدَ وَسَجَدَ النَّاسُ، حَتَّى إِذَا كَانَتْ الْجُمُعَةُ الْقَابِلَةُ قَرَأَ بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءَ السَّجْدَةَ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا نَمُرُّ بِالسُّجُودِ فَمَنْ سَجَدَ فَقَدْ أَصَابَ، وَمَنْ لَمْ يَسْجُدْ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَسْجُدْ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَزَادَ نَافِعٌ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَفْرِضْ عَلَيْنَا السُّجُودَ إِلا أَنْ نَشَاءَ. [البخاري ١٠٧٧].

وكان جُل الصحابة حاضرين ولم ينكر عليه أحد، وهو خليفة راشد أمرنا رسول الله ﷺ باتباع سنته، وعلى هذا فسجود التلاوة ليس بواجب لكنه سُنة، فإذا قرأ الإمام في الصلاة السرية فمر بآية سجدة فسجد؛ فإن سجوده هذا يُحدث اللبس والشك والتشويش على المصلين، والواجب على الإمام أن يضمن للمأمومين صحة صلاتهم؛ لما ثبت عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «الإِمَامُ ضَامِنٌ، وَالْمُؤَذِّنُ مُؤْتَمَنٌ، اللَّهُمَّ أَرْشِدْ الأَئِمَّةَ وَاغْفِرْ لِلْمُؤَذِّنِينَ». [أبو داود ٥١٧ وصححه الألباني].

فعلى الإمام إذا صلى صلاة سرية بالمأمومين ألا يسجد سجود التلاوة؛ لأن السجود سنة، ودفع اللبس والتشويش عن المأمومين واجب، ولا تُقدم السنة على الواجب، والمأمومون لا يعرفون لماذا سجد الإمام، بل الغالب أنهم سيظنون أنه نسي ركن الركوع، وسينقسم الناس في متابعته، وبهذا لم يضمن لهم السلامة في صلاتهم، كما حثَّ على ذلك النبي ﷺ.

الحلف بغير الله

يسأل إبراهيم علي من دكرنس - دقهلية يقول: كيف حرم الرسول ﷺ الحلف بغير الله، وقد قال هو ﷺ للرجل: أفلح وأبيه إن صدق؟

الجواب: ورد في فتاوى الأزهر ما خلاصته:
قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: وخلاصة ما جاء فيه:.. أما حَلِف الرسول ﷺ بغير الله، فقد جاء في الصحيح أنه قال للأعرابي الذي أقسم ألا يزيد ولا ينقص عما تعلمه من الرسول ﷺ من الواجبات: «أفلح وأبيه إن صدق» [مسلم ١١].
وأُجيب عن ذلك بأجوبة للعلماء منها:

أ- الطعن في صحة اللفظة - وأبيه - كما قال ابن عبد البر: إنها غير محفوظة، وزعم أن أصل الرواية: «أفلح والله»، فصحَّفها بعضهم.
ب- أن ذلك كان يقع من العرب، ويجري على ألسنتهم من دون قصد للقَسم أي الحلف، والنهي إنما ورد في حق من قصد حقيقة الحلف، قاله البيهقي، وقال النووي: إنه الجواب المرضي.
جـ- أنه كان يقع في كلامهم على وجهين: للتعظيم وللتأكيد، والنهي إنما ورد عن التعظيم.
د- أنه كان في ذلك حذف، والتقدير: أفلح ورب أبيه. قاله البيهقي.
هـ- أنه للتعجب، وليس قسمًا. قاله السهيلي.
ومما تقدم يتبين أن أهل العلم لا يوافقون على القسم بغير الله سبحانه وتعالى، ولا تعظيم إلا له، والنصوص الكثيرة تدل على حرمة القسم بغير الله، وأنه من الكبائر.

مواريث

توفيت امرأة، وتركت زوجًا وليس لها أولاد، ولها بنت خالة شقيقة، وبنت خالة شقيقة أخرى، وابن خال شقيق، وابن عمة من الأم، فما نصيب كل منهم؟

الجواب: لزوج المرأة المتوفاة النصف فرضًا؛ لعدم وجود الفرع الوارث، والباقي يأخذ ثلثيه ابن عمتها من الأم، والثلث الباقي لبنتي الخالين الشقيقتين مع ابن الخال الشقيق للذكر مثل حظ الأنثيين؛ لأن هؤلاء جميعًا غير الزوج من ذوي الأرحام، فيكون الثلثان لقرابة الأب، والثلث لقرابة الأم بعد فرض الزوج.

ولاية الخال في الزواج

يسأل: أ. س. س: من دمنهور بحيرة يقول: من هم أولياء المرأة الذين لهم الحق في تزويجها، وهل يصلح الخال وليًا لابنة أخته إذا رفض أبوها تزويجها؟

الجواب: الأحق من الأولياء بتزويج المرأة: أبوها وإن علا، يعني جدها وجد أبيها، ثم ابنها وإن سفل، يعني ابن ابنها أو ابن ابن ابنها، ثم أخوها لأبيها وأمها، ثم أخوها لأبيها فقط، ثم أولادهم وإن سفلوا، ثم العمومة، ثم أولادهم وإن سفلوا، ثم عمومة الأب، ثم السلطان. [المغني لابن قدامة ٩ / ٣٥٥].

والولاية شرط من شروط صحة النكاح على الراجح من أقوال أهل العلم؛ لما ثبت عن عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ أُنْكِحَتْ بِغَيْرِ إِذْنِ مَوَالِيهَا فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ ثَلَاثًا، وَلَهَا مَهْرُهَا بِمَا أَصَابَ مِنْهَا؛ فَإِنْ اشْتَجَرُوا فَإِنَّ السُّلْطَانَ وَلِيُّ مَنْ لا وَلِيَّ لَهُ». [أحمد ٢٥٣٢٦ وصححه الألباني].

وأحق الأولياء بتزويج المرأة أبوها، فإذا وُجد الأب وكان أهلاً للولاية، ولم يكن عانتًا متعنتًا عاضلاً لابنته عن النكاح؛ لم يكن لغيره تزويجها إلا بإذنه. فإن كان الأب بعيدًا ولم يكن بإمكانه حضور مجلس العقد فله أن يوكل غيره سواء كان الموكَّل الخال أو قريبًا من أقربائه أو غريبًا، وتقصير الأب في حق أولاده لا يُسقط ولايته عليهم؛ إلا إذا لم يكن مسلمًا وهم مسلمون، فلا ولاية له عليهم، وخال البنت ليس من أوليائها؛ فليس له أن يلي عقد النكاح دون إذن مَن له الولاية عليها، وإلا كان النكاح باطلاً، أما في حالة عدم وجود الأولياء مطلقًا وكانت مسافرة مع خالها في بلد أجنبي، فيمكن أن يلي خالها العقد عليها، والله أعلم.

الشيعة الإسماعيلية

إعداد/ أسامة سليمان

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

نواصل الكلام حول بيان عقائد الشيعة الإسماعيلية بطوائفها المختلفة:

١- تعتقد الشيعة الإسماعيلية بضرورة وجود إمام معصوم منصوص عليه من نسل محمد بن إسماعيل، يصفون هذا الإمام بصفات ترفعه إلى مقام الألوهية، فالإمام عندهم وارث لجميع الأنبياء وللأئمة الذين سبقوه، وهو مخصوص بعلم الباطن، فالأئمة عندهم هم وجه الله ويد الله، وهم الذين يحاسبون الناس يوم القيامة، وهم الصراط المستقيم والذكر الحكيم والقرآن الكريم، والكعبة رمز للإمام المعصوم عندهم.

٢- ينكرون صفات الله عز وجل، فهو عز وجل لا موجود ولا غير موجود، ولا عالم ولا جاهل، ولا قادر ولا عاجز، ولم يخلق سبحانه العالم خلقًا مباشرًا، بل كان ذلك عن طريق العقل الكلي الذي يسمونه بالحجاب، وقد حل العقل الكلي هذا في الإنسان، وهو النبي والأئمة المستورون من بعده.

٣- يعتقدون أن محمد بن إسماعيل [الذي ينسبون إليه] حيّ لم يمت، وأنه في بلاد الروم، وهو قائم المهدي الذي سيبعث برسالة جديدة ينسخ بها شريعة النبي ﷺ.

٤- يتبرءون من الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ويصفونهما بصفات قبيحة كإبليس وفرعون وهامان والطاغوت وهُبل.

٥- لا يقيمون الصلاة في مساجد عامة المسلمين، وظاهرهم في العقيدة يشبه عقائد المسلمين، ولكن باطنهم شيء آخر، وصلاتهم للإمام الإسماعيلي المعصوم.

٦- يقوم الإسماعيلية البُهرة بإحياء كل ما يتعلق بالفاطميين من قبور ومساجد؛ حيث يدفعون الأموال الطائلة لتشييد القبور والمساجد كما فعلوا بالضريح المزعوم للحسين بالقاهرة وضريح السيدة زينب.

وكذا فهم لا يسمحون لأحد باعتناق مذهبهم ما لم يولد من أصل بُهري، فضلاً عن اعتقادهم أن أئمتهم ينحدرون من سلالة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهم معصومون عن الخطأ.

٧- قبلة البهرة في صلاتهم هي قبر الداعي الحادي والخمسين طاهر الدين المدفون في مدينة بومباي الهندية، ويطلقون عليه اسم الروضة الطاهرة، والصلاة عند البهرة الإسماعيلية تجب في العشرة الأيام الأولى من شهر المحرم فقط، وفي غيرها لا تجب، كما أن صلاتهم لا بد أن تكون في مكان خاص يسمى الجامع خانه، وإن لم يلتزم الفرد بالصلاة في هذا المكان في أيام المحرم الأولى؛ فإنه يُطرد من الطائفة، ويُحرم من جميع الفرق الإسماعيلية.

أما الإسماعيلية الأغاخانية فلهم عقائد تخالف عقائد المسلمين، يوضحها - عاشق حسين - رئيس لجنة الشئون الدينية؛ فيقول:

أ- تحيتنا يا علي مدد، وجوابها مولانا علي مدد، وشهادتنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأن علياً هو الله.

ب- لسنا بحاجة إلى وضوء؛ لأن الوضوء هو طهارة القلب فقط، ولا يفسد صومنا بالأكل والشرب، وصومنا يحتوي على ثلاث ساعات فقط، ونفطر في الساعة العاشرة صباحًا، وذلك تطوعًا، لكن طوال السنة نصوم يوم الجمعة فقط الذي يكون بداية الشهر، ويفرض علينا دفع اثني عشر ونصف في المائة روبية من مجموع أموالنا، بدلاً من الزكاة، أما

الحج فهو رؤية إمامنا الحاضر، الذي هو القرآن الناطق عندنا.

وعلى درب صكوك الغفران عند الكنيسة يقتفي الأغاخانية هذا السبيل؛ فيعتقدون أن عالمهم يمحو عنهم الذنوب والخطايا بسكب الماء عليهم، وليس على العاصي إلا أن يذهب إلى مكان العبادة فقط ليشرب الماء ويغسل نفسه به.

هذه بعض معتقدات الإسماعيلية بطوائفها، فهل ترى أخي أنها تلتقي مع معتقدات المسلمين، أم أنها فرقة من الفرق الهالكة النارية التي أخبر بها خير البرية؟!

وبعد بيان جانب من معتقدات هذه الفرقة الضالة، إليك أخي جانبًا من طقوسهم وعباداتهم التي ابتدعوها:

١- الصلاة عند البهرة لا تؤدى إلا في أماكن خاصة للعبادة، وبإذن مسبق من الإمام أو الداعي المطلق، والصلاة عندهم تؤدى ثلاث مرات في اليوم فقط، وقبلتهم فيها قبر إمامهم طاهر سيف الدين.

٢- للإسماعيلية البُهرة عادات وطقوس هندوسية في حفلات زواجهم؛ حيث يستعملون معجون الكركم على جسم العريس، ويقومون بإيقاد السراج، وفرش طريق العريس بالنقود المالية الثمينة.

٣- يتشاءمون بمرور الجنائز من أمامهم، ويستعملون التمائم والتعاويذ خوفًا من العين، ولا يبدءون أي عمل إلا بعد استشارة العرافين والمنجمين.

٤- للبُهرة زي خاص يتميزون به عن غيرهم؛ حيث يرتدي الواحد منهم قميصًا وسروالاً وطاقية مزركشة باللونين الذهبي والأصفر.

٥- اتخذوا قبور أئمتهم ودعاتهم مزارات يسألونهم الشفاعة؛ ذلك لأن الغلو متأصل فيهم وفي أسلافهم، فالإسماعيلية الأغاخانية الموجودة في العراق يوجد لهم حسينيات يلجئون إليها، منها ما هو في بغداد، ومنها ما هو في البصرة، وكذا في كربلاء والنجف، ويوجد لهم حسينيات في غرب الهند؛ حيث يوجد قبر كل من «داود بن عجب شاه»، وداود بن قطب شاه، وهما متجاوران.

٦- لهم أعياد يعظمونها ويحتفلون بها، منها: عيد الفطر والأضحى وعيد الغدير والنيروز، وعيد يوم الإمام، وهو اليوم الذي تولى فيه علي رضي الله عنه الخلافة، وعيد ميلاد الإمام أغاخان، وعيد الذكرى السنوية للزيارة الأولى التي قام بها أغاخان للهونزا، وذلك في ٢٠ أكتوبر سنة ١٩٦٠م.

وتوجد طائفة البُهرة الإسماعيلية في الهند؛ حيث المركز الرئيس في مدينة بومباي، وينتشرون في قرى ومدن الهند، ويقدر عددهم بحوالي مليوني نسمة، كما يقيم بعضهم في اليمن وتنزانيا ومدغشقر وكينيا، وموجودون بأعداد قليلة في الكويت ودبي والبحرين وعدن، أما الإسماعيلية الأغاخانية فهم موجودون في باكستان؛ حيث مركزهم الرئيس في كراتشي، ويقيم بعضهم في سوريا وإيران، وعمان.

وللإسماعيلية بطوائفها تاريخ ملوث بدماء أهل السنة والاعتداء على مقدسات المسلمين وكل علماء المسلمين، فهم الذين حاولوا أثناء خلافة الحاكم بأمر الله الفاطمي سرقة جسد الرسول ﷺ، فسلط الله عليهم وعلى من أرسلهم ريحًا أصيبوا بالذعر بسببها، وعادوا خاسرين، كما حاول خليفة فاطمي آخر في الفترة ما بين ٥٢٤ إلى ٥٤٤هـ نقل جثمان الرسول ﷺ إلى مدينة القاهرة، فبعث أربعين رجلاً من الأشداء الذين تآمروا بدورهم بحفر سرداب من مكان بعيد إلى قبر الرسول ﷺ، لكن الله أهلكهم جميعًا، وانهار عليهم السرداب؛ فأماتهم مدحورين إلى جهنم وبئس المصير.

والفاطميون كذلك هم الذين قتلوا العلامة أبا بكر نابلسي؛ حيث قام رحمه الله بين يدي الخليفة الفاطمي، وقال كلمته المشهورة: «لو أن معي عشرة أسهم لرميت الإسماعيلية بتسعة، ورميت الروم بسهم واحد؛ ذلك لأنهم غيَّروا في دين رب العالمين، وقتلوا الصالحين»؛ فأمر الخليفة الفاطمي بسلخه وهو حي، فقام يرتل القرآن الكريم حتى رقَّ له قلب اليهودي الذي كان يسلخه، وما رق له قلب الشيعي الإسماعيلي الباطني الخبيث!!

وقد حاولوا اغتيال القائد المجاهد صلاح الدين الأيوبي، وقتلوا الحجاج الآمنين، وهدموا قبة زمزم، وقلعوا باب الكعبة المشرفة، وحاولوا قلع ميزاب الكعبة، لكنه سقط على رأس من حاول ذلك، فأهلكه الله.

ذلك قليل من كثير من التاريخ الأسود للإسماعيلية بطوائفها الباطنية الكافرة، فاعتبروا يا أولي الألباب.

والله من وراء القصد.

المراجع:

١-دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين، د. أحمد محمد جلي.

٢-الحركة الباطنية في العالم الإسلامي، محمد الخطيب.

٣-الإسماعيلية المعاصرة، محمد الجوير.

٤-الإسماعيلية، إحسان إلهي ظهير.

٥-أصول الإسماعيلية، برنارد لويس.

براءات الرسول محمد ﷺ

الحلقة الأولى

إعداد/ شوقي عبدالصادق

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، والصلاة والسلام على إمام المرسلين وسيد الأولين والآخرين، وبعد:

فقد برأ الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ من كل شائبة تشوبه وكل عيب يعيبه، ومن كل شرك وهوى، وخلّصه لنفسه تخليصًا، واتخذه خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ومن براءات رسول الله ﷺ الواردة في الكتاب العزيز والسنة المطهرة ما يلي:

أولاً: براءته ﷺ من الشرك والمشركين

فهو أول الموحدين لربه سبحانه، فقال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]، أي أنزّه الله تعالى وأعظّمه عن أن يكون له نظير أو شبيه، أو ظهير أو صاحبة أو ولد أو مشير، وقال الله تعالى: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٧٩].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لاَ أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ٥٦]، وقال تبارك وتعالى: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر: ٦٦]، وقال جل وعلا: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٦١]، وقال أيضًا: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

قال الحافظ ابن كثير: وليس يلزم من كونه ﷺ أُمِرَ باتباع ملة إبراهيم الحنيفية أن يكون إبراهيم أكمل منه فيها؛ لأنه عليه السلام قام بها قيامًا عظيمًا وأكملت له إكمالاً تامًا لم يسبقه أحد إلى هذا الكمال، ولهذا كان خاتم الأنبياء وسيد ولد آدم على الإطلاق، وكان رسول الله ﷺ إذا أصبح قال: «أَصْبَحْنَا عَلَى فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ، وَكَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ، وَدِينِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، وَمِلَّةِ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ». [أحمد ١٥٣٦٤ وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٢٩٨٩].

ويأمره تعالى أن يخبر المشركين الذين يعبدون غير الله، ويذبحون لغير اسمه أنه مخالف لهم في ذلك، فإن صلاته لله، ونسكه على اسمه وحده لا شريك له.

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَبَحَ يَوْمَ الْعِيدِ كَبْشَيْنِ ثُمَّ قَالَ حِينَ وَجَّهَهُمَا: إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا مُسْلِمًا، وَمَا أَنَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ، بِسْمِ اللَّهِ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُمَّ مِنْكَ وَلَكَ عَنْ مُحَمَّدٍ وَأُمَّتِهِ» [أحمد ١٥٠٢٢ وصححه الحاكم].

ومن كل ما سبق تبين براءته ﷺ من الشرك: أكبره وأصغره، وظاهره وخفيه في الاعتقاد والأقوال والأفعال؛ فلا تعلق قلبه بغير ربه، ولا دعا سوى الإله الحق سبحانه، ولا صلى ولا صام ولا ذبح، ولا نذر ولا تصدق إلا لله رب العالمين، ولا عظّم ولا حلف إلا بالله سبحانه ولا والى ولا تبرأ إلا لله وفي الله وحده لا شريك له، ولا قصد إلا مولاه ولا طلب إلا من الله سبحانه، وإذا كان تبرأ من الشرك، كذلك تبرأ من المشركين قبله وفي زمانه وبعد موته ﷺ، قال تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لاَ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٩].

فقد أنذر الرسول ﷺ قومه بالقرآن، وكل من بلغه

القرآن فكأنما رأى الرسول ﷺ، والآية دليل على براءة النبي ﷺ من شرك المشركين الذين يرون أن مع الله الحق آلهة أخرى يقصدونها من دون الله، أو مع الله كالأولياء والصالحين وآل بيت النبي الطاهرين؛ فيطلبون منهم كشف الضر وجلب النفع ودفع المخاطر، ورد الغائب وشفاء المريض، وكل ما لا يُطلب إلا من الله؛ طلبوه من هؤلاء المخلوقين، فالرسول ﷺ يقول لهؤلاء جميعًا: ﴿إِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾.

ويقول تعالى أيضًا: ﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣]. فالله سبحانه ورسوله بريئان من التوسلات على أعتاب الحسين، والبدوي، والسيدة زينب، بريئان من دعاء هؤلاء وغيرهم، بريئان من الحلف بهم وبغيرهم.

ويقول ﷺ: «من حلف بغير الله فقد أشرك». [أبو داود ٣٢٥٣، وصححه الألباني].

كذلك تبرأ ممن شابه المشركين أو خالطهم وجاورهم؛ لحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس منا من تشبه بغيرنا، لا تشبهوا باليهود ولا بالنصارى، فإن تسليم اليهود الإشارة بالأصابع، وتسليم النصارى الإشارة بالأكف». [الترمذي ٢٦٩٥ وحسنه الألباني].

وقوله عليه السلام: «أَنَا بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ يُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُشْرِكِينَ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَ؟ قَالَ: «لاَ تَرَاءَى نَارَاهُمَا». [أبو داود ٢٦٤٧، وصححه الألباني].

ومن البراءة من جميع أحوال المشركين قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ (٤٠) وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ٤٠، ٤١].

ثانيًا: براءته ﷺ من معصية العصاة

قال الله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢١٥) فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [الشعراء: ٢١٥، ٢١٦].

قال ابن كثير رحمه الله: أمره أن يلين جانبه لمن اتبعه من عباد الله المؤمنين، ومن عصاه من خلق الله كائنًا من كان فليتبرأ منه. [ابن كثير: ٣ / ٤٧٧].

ومن براءته في السنة المطهرة قوله فيما رواه كعب بن عجرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إنه سيكون بعدي أمراء فمن دخل عليهم فصدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه، وأنا منه بريء، ومن لم يدخل عليهم ولم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فهو مني وأنا منه، وسيلقاني فيكون معي». [النسائي ٤٢٠٨ وصححه الألباني].

وقوله: «ومن أمن رجلاً على دمه فقتله فأنا بريء من القاتل وإن كان المقتول كافرًا». [السلسلة الصحيحة: ٤٤٠].

ولحديث أبي موسى أن رسول الله ﷺ برئ من الصالقة والحالقة والشاقة. [متفق عليه].

وهذه المعاصي تأتي بها النساء عند نزول المصيبة، وساق أبو موسى هذا الحديث لأنه وجع وجعًا فغُشي عليه ورأسه في حجر امرأة من أهله؛ فلم يستطع أن يرد عليها شيئًا، فلما أفاق قال: أنا بريء ممن برئ منه رسول الله ﷺ، قال ابن حجر: الصالقة: التي ترفع صوتها بالبكاء، ويقال فيه بالسين المهملة، ومنه قوله: ﴿سلقوكم بألسنة حداد﴾، والصلق ضرب الوجه، ورفع الصوت أشهر».

والحالقة: التي تحلق رأسها عند المصيبة، والشاقة التي تشق ثوبها، وعند مسلم أنا بريء ممن حلق وسلق وخرق. (مسلم ٢٩٩) [فتح الباري ٣ / ١٩٨].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية». [البخاري ١٢٩٤].

وقال ابن حجر: أي ليس من أهل سنتنا وطريقتنا، وليس المراد به إخراجه عن الدين، وفائدة إيراده بهذا اللفظ المبالغة في الردع عن الوقوع، وقيل: المعنى ليس على ديننا الكامل، أي أنه خرج من فرع من فروع الدين وإن كان معه أصله، ويظهر لي أن هذا النفي يفسره التبري، وأصل البراءة الانفصال من الشيء، وكأنه توعده بأن لا يدخله في

> **تبرأ النبي ﷺ من شرك المشركين الذين يرون أن مع الله الحق آلهة أخرى يقصدونها من دون الله، أو مع الله كالأولياء والصالحين وآل بيت النبي الطاهرين؛ فيطلبون منهم كشف الضر وجلب النفع ودفع المخاطر، ورد الغائب وشفاء المريض، وكل ما لا يُطلب إلا من الله؛ طلبوه من هؤلاء المخلوقين**

شفاعته مثلاً، وقيل: أنا بريء أي من فاعل ما ذكر وقت ذلك الفعل، ولم يرد نفيه عن الإسلام، فإن وقع التصريح بالاستحلال مع العلم بالتحريم أو التسخط مثلاً بما وقع فلا مانع من حمل النفي على الإخراج من الدين. [فتح الباري: ٣ / ١٩٥].

ومما تبرأ منه النبي ﷺ ما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «ليس منا مَن خبب امرأة على زوجها، أو عبدًا على سيده». [أبو داود ٢١٧٧، وصححه الألباني].

وحديث أبي سعيد الخدري: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن». [البخاري ٧٥٢٧].

وخبب المرأة على زوجها: أفسدها عليه، وكذا أفسد العبد على سيده، والتغني بالقرآن أي قراءته مع إعطاء كل حرف حقه من المخرج والصفة، والمد والغنة، والقلقلة وأحكام التجويد.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «من حمل علينا السلاح فليس منا». [متفق عليه] قال النووي: مذهب أهل السنة الفقهاء: من حمل السلاح على المسلمين بغير حق ولا تأويل ولم يستحله فهو عاصٍ ولا يكفر بذلك؛ فإن استحله كفر، فأما تأويل الحديث فقيل: هو محمول على المستحل بغير تأويل فيكفر، ويخرج من الملة، وقيل: معناه: ليس على سيرتنا الكاملة وهدينا. [صحيح مسلم بشرح النووي ٢ / ١٠٨].

وفي رواية أبي هريرة رضي الله عنه قال ﷺ: «من حمل السلاح علينا فليس منا، ومن غشنا فليس منا» [مسلم ٢٩٤].

وأعظم براءة له ﷺ ما كان قبل أن يموت بخمس حيث تبرأ من أهل الغلو فيه وفي أهل بيته، الكاذبين في حبهم له المتخذين المساجد على قبور آل بيته، فعن جُندب قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: «إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله تعالى قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولو كنت متخذًا من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك». [مسلم ١٢١٦].

وقال النووي: إني أبرأ أي أمتنع من هذا وأنكره، والخليل: المنقطع إليه وقيل المختص بشيء دون غيره، قيل هو مشتق من الخلة، وهي الحاجة، وقيل الخُلة، وهي تخلل المودة في القلب، فنفى ﷺ أن تكون حاجته وانقطاعه إلى غير الله تعالى، وقيل: الخليل من لا يتسع القلب لغيره. [صحيح مسلم بشرح النووي ٥ / ١٣].

وكذا ما صح عن رويفع قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا رويفع لعلَّ الحياة ستطولُ بك فأخبر الناس أن من عقد لحيته أو تقلد وترًا، أو استنجى برجيع دابة أو عظم؛ فإن محمدًا بريء منه». [أبو داود ٣٦ وصححه الألباني].

قال الخطابي: عقد اللحية يفسر على وجهين: أحدهما: كانوا يفعلونه في الحرب، وذلك من زي أهل الأعاجم تكبرًا وعُجبًا، والثاني: معالجة الشعر ليتعقد ويتجعد؛ وذلك من فعل التأنيث، وتقلد وترًا: جعله قلادة في عنقه أو عنق دابته.

فقد تبرأ النبي ﷺ ممن تعلق قلادة وضعها في عنقه؛ فكيف بمن يصرخ على أعتاب الأموات طالبًا منهم تفريج الكربات وقضاء الحاجات؟!

ومن براءته أيضًا ما حدث من بعض الصحابة على سبيل الجور في الحكم: روى البخاري بسنده: «بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة فدعاهم إلى الإسلام فلم يُحسنوا أن يقولوا أسلمنا فجعلوا يقولون: صبأنا صبأنا، فجعل خالد يَقتل منهم ويأسر ودفع إلى كل رجل منا أسيره حتى إذا كان يومٌ أمر خالد أن يقتل كل رجل منا أسيره، فقلت: والله لا أقتل أسيري ولا يقتل رجل من أصحابي أسيره حتى قدمنا على النبي فذكرناه فرفع النبي يده فقال: «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد مرتين». [البخاري ٤٣٣٩].

يقول ابن حجر: وأما خالد فحمل هذه اللفظة - صبأنا - على ظاهرها؛ لأن قولهم صبأنا أي خرجنا من دين إلى دين، ولم يكتف خالد بذلك حتى يصرحوا بالإسلام. وقال الخطابي: يحتمل أن يكون خالد نقم عليهم العدول عن لفظ الإسلام؛ لأنه فهم منهم أن ذلك وقع على سبيل الأنفة، ولم ينقادوا إلى الدين فقتلهم متأولاً قولهم، قال الخطابي: أنكر عليه ﷺ العجلة وترك التثبت في أمرهم قبل أن يعلم المراد من قولهم صبأنا، وإكمالاً للبراءة فأمر النبي ﷺ عليًا رضي الله عنه فجاءهم ومعه مال فلم يبق

> **تبرأ النبي ﷺ ممن تعلق قلادة وضعها في عنقه؛ فكيف بمن يصرخ على أعتاب الأموات طالبًا منهم تفريج الكربات وقضاء الحاجات؟!**

لهم أحدًا إلا واده. [فتح الباري ٧ / ٦٥٥].

أي دفع دية القتل الخطأ، وتبرأ النبي ﷺ من الدماء التي سُفكت دون تريث وتثبت واستحقاق لسفكها، وإن كان الفاعل هو سيف الله، رضي الله عنه.

ثالثًا: براءته ﷺ من اتباع الأهواء

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ٥٦]. ولنتأمل: قوله: نهيت أن أعبد الذين تدعون ولم يقل الذين تعبدون، فكل من دُعي من دون الله فقد عبده من دعاه، وقوله: أعبد ولم يقل إني نهيت أن أدعو الذين تدعون من دون الله؛ ليؤكد ما قلناه أن من دعا غير الله وسأله في أمور لا يقدر عليها إلا الله؛ فقد عبده من دون الله، أو عبده مع الله، والرسول منه براء.

ومثلها في سورة غافر: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر: ٦٦]. وأسبغ الله تعالى عليه نعمة العصمة من اتباع أهواء أهل الضلال والتحريف والتبديل والتعطيل، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣].

رابعًا: براءته ﷺ من ملكية النفع والضر

قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [يونس: ٤٩]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ [الجن: ٢١]، ففي الآيتين الأوليين صرح القرآن ببراءة النبي من ملكية النفع والضر لنفسه، ومن لم يملك لنفسه لا يملك لغيره من باب أولى، فجاءت الآية الثالثة مُصرِّحة بعدم الملكية للغير، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ﴾، وإن كان رسول الله ﷺ مع علو قدره وارتفاع شأنه وسيادته على الثقلين لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا، ولا يملك لغيره، فكيف يملك حفيده الحسن أو الحسين أو أحد من آل بيته، أو أي واحد من عموم الناس، والجميع دونه في الرتبة والمنزلة باتفاق المسلمين؟!

قال الله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ [يونس: ١٠٨].

خامسًا: براءته ﷺ من ابتغاء الدنيا بالدين

قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦]، قال ابن كثير: ما أسألكم على هذا البلاغ، وهذا النصح أجرًا تعطونيه من عرض الحياة الدنيا، وما أنا من المتكلفين، وما أزيد على ما أرسلني الله تعالى به ولا أبتغي زيادة عليه، بل ما أمرت به أديته لا أزيد عليه ولا أنقص منه، وإنما أبتغي بذلك وجه الله تعالى والدار الآخرة، وقال عبد الله بن مسعود: يا أيها الناس، من علم شيئًا فليقل به، ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم، فإن من العلم أن يقول الرجل لما لا يعلم: الله أعلم، فإن الله قال لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [متفق عليه].

وكذا قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [الشورى: ٢٣]، قال ابن كثير: قل يا رسولنا لهؤلاء المشركين من كفار قريش لا أسألكم على هذا البلاغ والنصح لكم مالاً تعطونيه، وإنما أطلب منكم أن تكفوا شركم عني، وتذروني أبلغ رسالات ربي؛ وإن لم تنصروني فلا تؤذوني بما بيني وبينكم من القرابة.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سُئل عن قوله تعالى: ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾، فقال: إن النبي ﷺ لم يكن بطنٌ من قريش إلا كان له فيهم قرابة، فقال: إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة. [البخاري ٤٨١٨].

ثم قال ابن كثير: والحق تفسير هذه الآية بما فسرها به حبر الأمة وترجمان القرآن، ولا ننكر الوصاة بأهل البيت، والأمر بالإحسان إليهم، واحترامهم وإكرامهم، فإنهم من ذرية طاهرة، من أشرف بيت وُجد على وجه الأرض فخرًا وحسبًا ونسبًا، ولاسيما إذا كانوا متبعين للسنة النبوية الصحيحة. [ابن كثير: ٤ / ١٤٣ - ١٤٥].

وللحديث بقية في الحلقة القادمة إن شاء الله تعالى.

من محبطات الأعمال

رفع الصوت فوق صوت النبي ﷺ

إعداد/ عبده الأقرع

الحمد لله وحده، وأصلي وأسلم على من لا نبيَّ بعده، نبينا محمد وآله وصحبه، وبعد:

نواصل حديثنا حول محبطات الأعمال، وحديثنا اليوم بإذن الله تعالى عن:

رفع الصوت فوق صوت النبي ﷺ

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: ٢].

عن ابن أبي مليكة قال: كادَ الخيران أن يهلكا: أبو بكر وعمر، رضي الله عنهما، رفعا أصواتهما عند النبي ﷺ حين قَدِم عليه ركب بني تميم، فأشار أحدهما بالأقرع ابن حابس أخي بني مجاشع، وأشار الآخر برجل آخر، قال نافع: لا أحفظ اسمه، فقال أبو بكر لعمر: ما أردت إلا خلافي، قال: ما أردت خلافك، فارتفعت أصواتهما في ذلك، فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ﴾ الآية، قال ابن الزبير: فما كان عمر يُسمع رسول الله ﷺ بعد هذه الآية حتى يستفهمه. [البخاري: ٤٨٤٥].

وأما أبو بكر فقال: «والذي أنزل عليك الكتاب يا رسول الله، لا أكلمك إلا كأخي السرار حتى ألقى الله». [الحاكم: ٣٧٢٠ وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي].

وأعظم من ذلك ما كان بشأن ثابت بن قيس رضي الله عنه: فعن موسى بن أنس، عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ افتقد ثابت بن قيس؛ فقال رجل: يا رسول الله، أنا أعلم لك علمه، فأتاه فوجده جالسًا في بيته، منكسًا رأسه، فقال له: ما شأنك؟ فقال: شرٌّ، كان يرفع صوته فوق صوت النبي ﷺ، فقد حبط عمله، وهو من أهل النار، فأتى الرجل النبيَّ ﷺ فأخبره أنه قال: كذا وكذا، فقال موسى بن أنس: فرجع إليه المرة الآخرة ببشارة عظيمة فقال ﷺ: «اذهب إليه فقل له: إنك لست من أهل النار، ولكنك من أهل الجنة». [البخاري ٣٦١٣].

هكذا علَّم الله المؤمنين أن يعظموا النبي ﷺ ويحترموه ويوقروه، فنهاهم عن رفع أصواتهم فوق صوته، وعن أن يجهروا له بالقول كجهر بعضهم لبعض، أي: ينادونه باسمه: يا محمد، يا أحمد، كما ينادي بعضهم بعضًا، قال الله تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ [النور: ٦٣].

وإنما أُمروا أن يخاطبوه خطابًا يليق بمقامه ليس كخطاب بعضهم بعضًا، كأن يقولوا: يا نبي الله، أو يا رسول الله، ونحو ذلك، وقد بيَّن الله تعالى أن توقيره واحترامه ﷺ بغضِّ الصوت عنده لا يكون إلا من الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى، أي: أخلصها لها، وأن لهم بذلك عند الله المغفرة والأجر العظيم، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الحجرات: ٣].

ومعلوم أن حرمةَ النبي ﷺ بعد وفاته كحرمته في أيام حياته.

وبه تعلم أن ما جرت به العادة اليوم من اجتماع النَّاس قرب قبره ﷺ وهم في صخب ولغط، وأصواتهم مرتفعة ارتفاعًا مزعجًا، كله لا يجوز، ولا يليق، وإقرارهم عليه من المنكر، وقد شدَّد أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه النكير على رجلين رفعا أصواتهما في مسجده ﷺ، وقال: لو كنتما من أهل المدينة لأوجعتكما ضربًا. [سنن البيهقي ١٠ / ١٠٣].

عن السائب بن يزيد الصحابي رضي الله عنه قال: كنت في المسجد فحصبني - رماني - رجل، فنظرت فإذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال: اذهب فائتني بهذين، فجئته بهما، فقال: من أين أنتما؟ فقالا: من أهل الطائف، فقال: لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما، ترفعان

أصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ. [البخاري: ٤٧٠].

والله تعالى قد أمر الناس إذا هم أرادوا أن يناجوا النبي ﷺ بشيءٍ مما لهم فيه حظٌ ألا يناجوه حتى يقدِّموا بين يدي نجواهم صدقة، فكان الرَّجل إذا أراد أن يناجيه بشيء تصدق بصدقة، كل ذلك تعظيمًا للرسول ﷺ، وشرفًا له ﷺ، فلما فعلوا ذلك ضاقت على بعضهم الصدقة، فاحتاج إلى مناجاته فتوقفَ عن مناجاته، فخفف الله عز وجل ذلك على المؤمنين رأفةً منه بهم، فقال الله تعالى في ابتداء الأمر: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ [المجادلة: ١٢].

هذا لمن قدر على الصدقة، ثُمَّ قال الله تعالى تفضلاً على من لم يجدْ صدقة: ﴿فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المجادلة: ١٢]، ثم قال الله تعالى – تفضلاً على الجميع: مَن قدر على الصدقة ومَن لم يقدر –: ﴿أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المجادلة: ١٣]، فخفف عنهم الصدقة، وأمرهم بإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والطاعة له عز وجل ولرسوله ﷺ.

وقد دلت آيات القرآن الكريم على أنَّ الله تعالى لا يخاطبه ﷺ في كتابه باسمه، وإنما يخاطبه بما يدل على التعظيم والتوقير، فناداهُ بأحبِّ أسمائه وأسمى أوصافه كقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٤].

و﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾ [الأنفال: ٦٥].

و﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى﴾ [الأنفال: ٧٠].

و﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥].

و﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ [المائدة: ٤١].

و﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧].

وهذه الخصوصية لم تثبت لغيره من الأنبياء، بل ثبت أن كلاً منهم – صلوات الله وسلامه عليهم – نودي باسمه؛ كقوله سبحانه:

﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥].

﴿يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦].

﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ﴾ [هود: ٤٨].

﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ [ص: ٢٦].

﴿وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾ [الصافات: ١٠٤، ١٠٥].

﴿يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ﴾ [هود: ٨١].

﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ﴾ [مريم: ٧].

﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم: ١٢].

ومع هذا فإننا نريد أن نذكر: أنه يجب على كل إنسان أن يميز بين حقوق الله تعالى التي هي من خصائص ربوبيته، التي لا يجوز صرفها لغيره، وبين حقوق خلقه كالنبي ﷺ ليضع كلَّ شيء في موضعه؛ لأن صرف الحقوق الخاصة بالخالق التي هي من خصائص ربوبيته إلى النبي ﷺ أو غيره ممن يُعتقد فيهم الصلاح مستوجب سخط الله وسخط النبي ﷺ، وسخط كل متبع له بالحق.

ومعلوم أنه – صلوات الله وسلامه عليه – لم يأمر بذلك هو ولا أحد من أصحابه، وهو ممنوع في شريعة كل نبي من الأنبياء، والله – جلَّ وعلا – يقول: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ (٧٩) وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩ – ٨٠].

بل الذي كان يأمر به ﷺ هو ما يأمره الله بالأمر به في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

فعلينا معاشر المسلمين أن نعظم ربنا بامتثال أمره واجتناب نهيه، وإخلاص العبادة له، وتعظيم نبينا ﷺ باتباعه والاقتداء به في تعظيم الله والإخلاص له، والاقتداء به في كل ما جاء به.

وألاَّ نخالفه ﷺ ولا نعصيه، ونعظّمه التعظيم الموافق لما جاء به ﷺ، وترك ما يسميه البعض محبة وتعظيمًا، وهو في الحقيقة احتقار وازدراء وانتهاك لحرمات الله ورسوله ﷺ، ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (١٢٣) وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النساء: ١٢٣، ١٢٤].

وعن عمر –رضي الله عنه– أن رسول الله ﷺ قال: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم؛ إنما أنا عبدٌ، فقولوا: عبد الله ورسوله». [البخاري ٣٤٤٥].

هذان الوصفان هما أصدق وصف وأشرفه في رسول الله ﷺ، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ١٧١]، فوصفهم الله بالعبودية قبل الرسالة مع أن الرسالة شرف عظيم.

والحمد لله رب العالمين.

الحلقة الثالثة والعشرون

إعلام المصلين والولاة بمن يقدمونه لإمامة الصلاة

إعداد المستشار/ أحمد السيد علي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فما يزال الحديث موصولاً عمن تكون إمامته على خلاف الأولى. ونتناول في هذه المقالة:

إمامة المسافر للمقيم

أولاً: حكم القصر للمسافر:

اختلف الفقهاء في حكم القصر بالنسبة للمسافر على رأيين:

الأول: يرى أن القصر فرض، وهو مذهب الحنفية، وقد رُوي عن علي وعمر رضي الله عنهما، وعن عمر بن عبد العزيز رحمه الله.

الثاني: يرى أن القصر جائز والإتمام جائز، والأفضل القصر، وهو مذهب جمهور الفقهاء من المالكية والشافعية والحنابلة، وهو قول عائشة، وسعد بن أبي وقاص، وعثمان رضي الله عنهم.

الراجح: هو ما ذهب إليه جمهور الفقهاء القائلين بجواز القصر وعدم وجوبه، فالقصر سنة مؤكدة عن رسول الله ﷺ، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «صَحِبْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ فَكَانَ لا يَزِيدُ في السَّفَرِ عَلَى رَكْعَتَيْنِ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ كَذَلِكَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ». [البخاري ١١٠٢].

ثانياً: مسافة القصر

اختلفت كلمة الفقهاء في تحديد المسافة التي يقصر فيها المسافر الصلاة على عدة مذاهب: فمنهم من حدّدها بزمان السير؛ فقالوا: يقدر بمسيرة يوم وليلة أو يومين معتدلين أو ليلتين معتدلتين سيراً بسير الإبل المثقلة بالأحمال ودبيب الأقدام ذهاباً فقط دون الإياب.

ومنهم من قال: مسيرة ثلاثة أيام ولياليها من أقصر أيام السنة في البلاد المعتدلة بسير الإبل ومشي الأقدام.

ومنهم من حددها بطول المسافة، فقالوا: تُقدر بأربعة بُرد، والبريد أربعة فراسخ، والفرسخ ثلاثة أميال، والميل يقدر بحوالي ١٨٤٨ متراً؛ فتكون المسافة قرابة تسعة وثمانين كيلو متراً.

ومنهم من قال في كل سفر قريباً كان أم بعيداً بشرط أن يتجاوز المسافر ميلاً.

والراجح من هذه الأقوال: أن كل ما يُطلق عليه سفر يقصر فيه المسلم، وهو قول شيخ الإسلام ابن تيمية؛ حيث قال في الفتاوى: «إن تحديد مسافة القصر ليس ثابتاً بنص ولا إجماع ولا قياس». [مجموع الفتاوى ٢٤ / ٣٨].

وقال أيضاً: «الفرق بين السفر الطويل والقصير لا أصل له في كتاب ولا في سنة، فهذه نصوص الكتاب والسنة ليس فيها تفريق بين سفر طويل ولا قصير، فمن فرَّق بينهما فقد فرق بين ما جمع الله بينه فرقاً لا أصل له من كتاب ولا سنة، فالشارع أطلق السفر، وما أطلقه؛ فالمرجع فيه إلى العرف، فكل ما كان سفراً في عرف الناس فهو السفر الذي علق به الشارع الحكم، أما ما نُقل عن ابن عمر وابن عباس فهو باطل، فقد ثبت عنهما وغيرهما ما يخالف ذلك، وتحديد السفر بالمسافة لا أصل له في شرع ولا لغة ولا عرف. اهـ. [المرجع السابق].

ثالثاً: حكم صلاة المسافر خلف المقيم

المذهب الأول: يرى وجوب الإتمام على المسافر الذي يصلي خلف مقيم، سواء أدرك معه ركعة واحدة أو دونها، ولو قدر التسليمة الأولى: وهو قول الحنفية والشافعية والحنابلة، ويروى عن ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهم.

الأدلة:

١- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما جُعل الإمام ليؤتم به». [متفق عليه].

ووجه الدلالة من الحديث: أن قصر الصلاة للمسافر خلف المقيم ستؤدي إلى مفارقة الإمام، وهو



اختلاف عليه منهيّ عنه.

٢- عن موسى بن سلمة الهذلي قال: سألت ابن عباس: كيف أصلي إذا كنت بمكة، إذا لم أصلِّ مع الإمام؟ فقال: ركعتين، سنة أبي القاسم ﷺ. [مسلم ٦٨٨].

ووجه الدلالة: أن ابن عباس رضي الله عنه أفتاه بصلاة ركعتين إذا لم يصلِّ مع الإمام، فتكون دلالة المفهوم أن يصلي أربعًا إذا صلى مع الإمام، ويؤيده ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أيضًا أنه سُئل: ما بال المسافر يصلي ركعتين إذا انفرد وأربعًا إذا ائتم بمقيم؟ فقال: تلك السنة. [أحمد في المسند وصححه الألباني].

وفي لفظ آخر: أنه قال له موسى بن سلمة: إنا إذا كنا معكم صلينا أربعًا، وإذا رجعنا صلينا ركعتين؟ فقال: تلك سنة أبي القاسم. [أحمد ١٨٦٢ وصححه الألباني].

٣- عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «صلى رسول الله ﷺ بمنى ركعتين، وأبو بكر بعده وعمر بعد أبي بكر، وعثمان صدرًا من خلافته، ثم إن عثمان صلى بعدُ أربعًا، فكان ابن عمر إذا صلى مع الإمام صلى أربعًا، وإذا صلاها وحده صلى ركعتين. [متفق عليه واللفظ لمسلم ٦٩٤].

٤- بالقياس على من يصلي الجمعة خلف من يصلي الظهر؛ فإنها تجب تامة، فكذلك صلاة المسافر لا تُصلى ركعتين خلف من يصلي أربعًا.

المذهب الثاني: يرى أن المسافر إذا أدرك مع من وجب عليه الإتمام ركعة صلى بصلاته، ووجب عليه الإتمام، وإن لم يدرك معه ركعة صلى ركعتين، وهو قول المالكية والزهري وقتادة والحسن البصري.

دليله: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أدرك ركعة من الصلاة؛ فقد أدرك الصلاة». [أبو داود ١١٢٣ وصححه الألباني].

وجه الدلالة:

أنه إذا أدرك مع الإمام ركعة؛ فقد أدرك تلك الصلاة، ووجب عليه أن يأتم بإمامه فيصليها تامة، وإن أدرك دون ركعة، أي أدرك الإمام بعد الرفع من الركوع ففي هذه الحالة لم يدرك تلك الصلاة، ومن ثَم فلا يلزمه حكمها، ويكون له القصر.

المذهب الثالث: يرى أن المسافر لا يلزمه الإتمام، بل يُشرع له القصر، سواء أدرك مع الإمام ركعة أم لا، وهو قول داود الظاهري وهو مروي عن طاووس والشعبي.

دليله:

١- استدلوا بأنه لو وجب على المسافر أن يُتم إذا صلى خلف مقيم؛ اعتبارًا بحال إمامه؛ فلما لم يجز للمقيم أن يقصر الصلاة خلف المسافر اعتبارًا بحال نفسه؛ وجب ألا يلزم المسافر أن يتم الصلاة خلف المقيم اعتبارًا بحال نفسه.

٢- لأنه مؤد للصلاة في السفر؛ فجاز أن يقصرها كالمنفرد.

مناقشة الأدلة

أولاً: مناقشة دليل المالكية:

- اعتُرض على دليل المالكية بأنه وارد في إدراك الوقت أداءً، وليس إدراك الجماعة؛ ومن ثَم يكون الاستدلال بالحديث في غير محله.

ثانيًا: مناقشة دليل الظاهرية:

قال الماوردي في الحاوي: «أما الجواب عن قولهم: لو وجب على المسافر أن يتم خلف المقيم لجاز للمقيم أن يقصر خلف المسافر؛ فهو أن يقال: الإتمام عزيمة، والقصر رخصة على صفته، فلم يجز للمقيم ترك العزيمة والأخذ بالرخصة تبعًا لإمامه، ووجب على المسافر ترك الرخصة والأخذ بالعزيمة تبعًا لإمامه عند عدم الصفة. وأما قياسهم على المنفرد فالمعنى فيه أنه غير مؤتم بمتم؛ فلذلك جاز له القصر». اهـ.

الراجح: هو ما ذهب إليه أصحاب الرأي الأول، وهو وجوب الإتمام على المسافر الذي يصلي خلف مقيم، سواء أدرك معه ركعة واحدة أو دونها، ولو قدر التسليمة الأولى.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: المسألة الخامسة: إذا ائتم المسافر بمقيم فإنه يتم؛ لقول النبي ﷺ: «إنما جُعل الإمام ليؤتم به» [متفق عليه]. وقوله ﷺ: «ما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا» [متفق عليه]. فيشمل كل ما أدرك الإنسان وكل ما فاته، ولأن ابن عباس سُئل: ما بال الرجل المسافر يصلي ركعتين ومع الإمام أربعًا؟ فقال: تلك هي السنة، ولأن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يصلون خلف عثمان بن عفان وهم في السفر في منى أربعًا، فهذه أدلة أربعة؛ كلها تدل على أن المأموم يتبع إمامه في الإتمام. اهـ.

ثم قال رحمه الله: إذا أدرك المرء من صلاة الإمام ركعة في الصلاة الرباعية فبكم يأتي؟ يأتي بثلاث، وإن أدرك ركعتين أتى بركعتين، وإن أدرك ثلاثًا أتى بركعة، وإن أدرك التشهد أتى بأربع؛ لعموم قوله ﷺ: «وما فاتكم فأتموا». اهـ.

رابعًا: حكم إمامة المسافر للمقيم

إذا اجتمع مسافرون ومقيمون، وأرادوا الصلاة جماعة، فمن يُقدم للإمامة: المسافر أم المقيم؟

فرَّق العلماء بين أمرين: الأول: إذا كان فيهم السلطان أو الإمام الراتب، فهما الأولى بالإمامة، في الإقامة والسفر، والدليل على ذلك:

١- عنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه قَالَ: غَزَوْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - وَشَهِدْتُ مَعَهُ الْفَتْحَ؛

فَأَقَامَ بِمَكَّةَ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ لَيْلَةً لاَ يُصَلِّي إِلاَّ رَكْعَتَيْنِ وَيَقُولُ: «يَا أَهْلَ الْبَلَدِ صَلُّوا أَرْبَعًا؛ فَإِنَّا قَوْمٌ سَفْرٌ» [أبو داود ١٢٣١ وصححه الألباني].

٢- عن ابن عمر رضي الله عنهما أن عمر بن الخطاب كان إذا قدم مكة صلى بهم ركعتين، ثم يقول: يا أهل مكة أتموا صلاتكم فإنا قوم سفر. [رواه مالك في الموطأ (١٩٦) بسند صحيح].

الثاني: إن لم يكن فيهم إمام راتب أو سلطان، وتساووا في الفقه والقراءة؛ فقد اختلفوا في ذلك على رأيين:

الرأي الأول: يرى أن إمامة المقيم أولى، وهو قول الشافعية وبعض الحنابلة.

دليله:

١- أن المقيم يتم الصلاة، والإتمام أفضل.

٢- لأنه يستوي مع من خلفه؛ فيكون فراغهم على سواء، أي أن المأمومين سيفرغون من الصلاة مع الإمام، سواء كانوا مسافرين أم مقيمين.

فإن قدموا مسافرًا جاز، وإن كان على خلاف الأولى، واختلفوا في تقديمه هل هو مكروه أم لا؟ على قولين:

القول الأول: قال الشافعي في الأم يكره؛ لخروجه من الصلاة قبلهم.

القول الثاني: قال الشافعي في الأم: لا يكره؛ لأن المسافر بخلاف المقيم في إباحة الرخصة، وليس استباحة الرخصة نقصًا فيه، فإذا أمَّهم صلى ومن خلفه من المسافرين ركعتين إن أحبوا القصر، ووجب على من خلفه من المقيمين أن يتموا الصلاة أربعًا، ولم يجز أن يقصروا؛ لأن فرضهم الإتمام.

الرأي الثاني: يرى استواء إمامة أحدهما للآخر دون كراهة، وهو قول الجمهور.

دليله:

١- حديث عمران بن حصين السابق.

٢- حديث سالم بن عبد الله السابق.

الراجح: هو القول الأول القائل بأن تقديم المسافر على خلاف الأولى، ولكن مع عدم الكراهة، وهذا مع مراعاة أن الخلاف في حالة الاستواء في الفقه والقراءة، أما إن اختلفوا وكان المسافر هو الأقرأ والأفقه فإنه يُقدم على المقيم؛ لقوله ﷺ: «يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله...» الحديث [مسلم ٦٧٣].

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.



نتيجة مسابقة القرآن الكريم

لعام ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠م

وسوف يقام حفل لتكريم الفائزين بالمركز العام، وذلك يوم الأحد ١٣ شعبان ١٤٣١ هـ الموافق ٢٥ / ٠٧ / ٢٠١٠ م بعد صلاة الظهر

وعلى الفائزين إحضار صورة البطاقة الشخصية، وإن كان صغيراً فيحضر صورة شهادة الميلاد مع صورة بطاقة ولي الأمر

المستوى الأول

الترتيب	أسماء الفائزين	العنوان
-١	حمادة محمد السيد خطاب	مزكر بدر - البحيرة
-٢	مصطفى فتحي عبد الحميد أحمد	محرم بك - إسكندرية
-٣	طاهر السيد كمال الزغبي	مدينة نصر
-٤	الشناوي زيدان عبد المنعم	أبو كبير - شرقية
-٥	محمود محمد بيومي العجواني	مشيرف - منوفية
-٦	سمية إبراهيم عبد البديع	المرج
-٧	صلاح محمد رزق الحليسي	دسوق
-٨	أحمد عبد العزيز سلامة	إمبابة - جيزة
-٩	بلال محمود عبده عبد الكريم	إمبابة
-١٠	هيثم عبد السلام سليمان سالم	القرين - شرقية

المستوى الثاني

الترتيب	أسماء الفائزين	العنوان
-١	مصطفى محمد عبد العزيز حسن	الرمل - إسكندرية
-٢	إبراهيم عبد العزيز عبد الرحمن خليل	الإسماعيلية
-٣	أحمد محمد عبد العزيز حسن	الرمل - إسكندرية
-٤	هادي هاشم محمد الهنداوي	دمياط
-٥	شوقي محمد شوقي حسن	المنصورة
-٦	محمد السيد محمد علي	العواسجة - شرقية
-٧	شريف رفعت سعد إبراهيم	ديرب نجم - شرقية
-٨	محمد عبد اللطيف المندوه	عابدين
-٩	محمد السيد جمعة حسن	القرين - شرقية
-١٠	شذا رجب عبد المنعم	كفر الشيخ

المستوى الثالث

الترتيب	أسماء الفائزين	العنوان
١-	عبدالله محمد مختار عبدالرحمن	منيا القمح - شرقية
٢-	أحمد علاء الدين سباعي السيد	أبو كبير - شرقية
٣-	عبدالله محمود أحمد علي	بلبيس - شرقية
٤-	محمد شكري إبراهيم إبراهيم	عين شمس - القاهرة
٥-	يارا محمد جلال	الإسكندرية
٦-	أسامة محمود أبو سلامة	الشين - الغربية
٧-	يسرا خيري حسيني محمد	بلبيس - شرقية
٨-	حسناء إبراهيم عبدالفتاح	الصنطة - غربية
٩-	لطفي عبدالحليم لطفي محمد	بلبيس - شرقية
١٠-	محمد محمود مبارك	منيا القمح - شرقية

المستوى الرابع

الترتيب	أسماء الفائزين	العنوان
١-	أحمد محمد عبدالحميد أبو هاشم	العدوة - ههيا - شرقية
٢-	أحمد عيد محمد علي	كفر عجيبة
٣-	محمد عبدالفتاح عوض محمد	الصالحية الجديدة
٤-	ياسمين أحمد عبدالمحسن	المحلة الكبرى - غربية
٥-	عبادة طارق عبدالبديع الدق	بلبيس - شرقية
٦-	مصطفى مدحت حكيم عبده	حدائق حلوان
٧-	أحمد عادل علي يوسف	طنطا
٨-	عبدالرحمن عبدالحميد محمد أبو النجا	بشبيش - المحلة الكبرى
٩-	إيمان سعيد إبراهيم بكر	المنوفية
١٠-	هند حمدي عبدالمنعم	كفر الشيخ

المستوى الخامس

الترتيب	أسماء الفائزين	العنوان
١-	خالد عبدالسلام الخلفي	الشين - غربية
٢-	السيد محمود السيد محمد	بني عامر - الزقازيق - شرقية
٣-	منصور حسام منصور محمد	كفر الصالحات
٤-	محمد محمود السيد محمد	بني عامر - الزقازيق - شرقية
٥-	محمد إبراهيم محمد محمد	الصالحية الجديدة
٦-	عبدالله عماد عبدالله قليلة	دمياط
٧-	شيماء حسن سالم	بلبيس - شرقية
٨-	إبراهيم أحمد محمد محمود	كفر نجم
٩-	حمزة مسعد محمد عبدالفتاح	طنطا
١٠-	محمد محمود محمد سعيد	بشبيش - المحلة

من أخبار الجماعة

اجتماع لجان الدعوة بأنصار السنة المحمدية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فقد عُقد ظهر الأحد الموافق ٢٣من جمادى الآخرة ١٤٣١هـ- الموافق ١٠/٦/٢٠١٠م اجتماع دعوي بالمركز العام، حضره رؤساء الفروع ومسئولو الدعوة فيها؛ وذلك لمناقشة خطة الدعوة خلال الموسم الصيفي في الأيام القادمة.

وقد حضر اللقاء أعضاء مجلس إدارة المركز العام لجماعة أنصار السنة المحمدية، وعُقد الاجتماع برئاسة الرئيس العام للجماعة الدكتور عبد الله شاكر الجنيدي، ونائب الرئيس الدكتور عبد العظيم بدوي، الذي عاد منذ أيام من زيارته الدعوية لأمريكا، ومدير إدارة الدعوة الشيخ علي حشيش الذي تحدث بدوره عن خطة ومنهج الدعوة خلال الموسم الصيفي، مطالبًا الفروع ومسئولي الدعوة بضرورة عمل تقرير دعوي عن الفروع يتضمن خطب الجمعة، والدروس القائمة، والدروس المنهجية، وأسماء الخطباء، والأسابيع الثقافية التي تقيمها الفروع.

وفي بداية الاجتماع رحب الرئيس العام ونائبه بأعضاء الوفود، وتبادلوا معهم خطط العمل الدعوية في الفترة القادمة.

كما نبَّه الدكتور أيمن خليل مدير إدارة الشئون القانونية عن وجود المدعو محمود محرم المحرر بجريدة روزاليوسف الذي دأب على نشر الأخبار المكذوبة والملفقة عن الجماعة، خاصة أن الاجتماع قاصر على رؤساء الفروع ومسئولي الدعوة، وقد طلب الدكتور أيمن خليل من فضيلة الرئيس العام التصويت بين الحاضرين على إخراجه من الجلسة ومغادرة المركز العام، خاصة أنه لم توجَّه له دعوة لحضور الاجتماع، وقد صوَّت الحضور على طرده من الجلسة؛ حيث إنه شخص غير مرغوب فيه، خاصة وأن المركز العام قد رفع على الجريدة وعلى هذا الشخص قضايا وبلاغات منظورة أمام النائب العام.

وقد اقترح كثير من رؤساء الفروع ضرورة عقد هذا الاجتماع كل أربعة أشهر؛ لما فيه من فوائد، وطالب الرئيس العام الجميع بضرورة الالتزام بالمنهج الدعوي للجماعة، وعدم الخروج عنه، ذلك المنهج السلفي الذي دأبت الجماعة على الالتزام به منذ نشأتها.

وتقدم أعضاء الفروع باقتراحات لتنشيط الدعوة، وكذلك برامج دعوية من الفروع المتميزة دعويًّا؛ لمناقشتها وتعميمها على فروع أنصار السنة.

والله ولي التوفيق.

التحـريـر


الرحمة
قناة الرحمة الفضائية
﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾
قناة الرحمة
▪ صوت علم
▪ وسنة
▪ توحيد و فتيا،
باقية بحمد الله
على التردد
الجديد.
▪ بيوتنا
▪ أولادنا
▪ آباؤنا في
حاجة إليها ..
▪ تابعوها تجنوا
الخير من
ورائها.
التردد الجديد
لقناة
نسائم الرحمة
على النايل سات
١٠٨٧٣ رأسي
ترميز ٢٧٥٠٠
أسرة تحرير مجلة التوحيد تناشد المسلمين أن ينشروا التردد الجديد لقناة الرحمة.

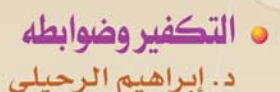



جَمْعِيَّةُ إِحْيَاءِ التُّرَاثِ الإِسْلَامِي

مكتبة طالب العلم

متخصصة في التحذير من الغلو في الدين والإفساد في الأرض والتطرف والتكفير.



- **التكفير وضوابطه**
  د. إبراهيم الرحيلي
- **مشكلة الغلو في الدين (٣ مجلدات)**
  د. عبد الرحمن اللويحق

- **فتنة التفجيرات والاغتيالات (مجلد)**
  الشيخ أبو الحسن المأربي
- **الفتاوى المهمة في القضايا المدلهمة (مجلد)**
  هيئة كبار العلماء
- **المواعظ والخطب المنبرية (مجلد)**
  لأئمة الحرم وهيئة كبار العلماء
- **تقريرات أئمة الدعوة في مخالفة مذهب الخوارج وإبطاله**
  د. محمد هشام ظاهري
- **معاملة الحكام في ضوء الكتاب والسنة**
  عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم
- **الحكم بغير ما أنزل الله/وجادلهم بالتي هي أحسن**
  بندر بن نايف العتيبي
- **قواعد في التعامل مع العلماء**
  د. عبد الرحمن بن معلا اللويحق

